The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty osoul Al Din
Master of Interpretation
and Quran Sciences

الجامعـــــة الإســلاميــة – غــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــة أصـــــول الـــــدين
ماجســتير التفســير وعلــوم القــرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي والخمسين من القران الكريم (سورة الأحقاف، محمد، الفتح1 –17)

Analytical stud of The purposes and objectives of the fifty one from the HoIy Quran (Sure of repentance Alahqaf-Muhammad and Alfath:1_17)

إِعدَادُ البَاحِثِ

خميس محمد خميس عامر

إشراف الدكتور

زهدي محمد مطر أبو نعمة

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي (التفسير وعلوم القرآن) بِكُلِيةِ (أصول الدين) فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

ربيع الأول/1439هـ – ديسمبر/2017م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي والخمسين من القران الكريم
(سورة الأحقاف ، محمد ، الفتح1 -17)

Analytical stud of The purposes and objectives of the fifty one from the HoIy Quran

(Sure of repentance Alahqaf-Muhammad and Alfath:1_17)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	خميس محمد خميس عامر	اسم الطالب:
Signature:	خميس محمد عامر	التوقيع:
Date:	2017/12/1	التاريخ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾

[ص:29]

ملخص الرسالة

تناولت في هذه الرسالة الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي والخمسين من القرآن الكريم (سورة الأحقاف، محمد، الفتح [1-17]) وكان سبب اختياري لهذه السور لاحتوائها على مواضيع مهمة تظهر للباحث من خلال الدراسة والبحث.

وقد سلكت في هذه الدراسة المنهج التحليلي والموضوعي وقمت باستنباط المقاصد والأهداف من الآيات موضوع الرسالة، وذلك بعد بيان معاني المفردات، ووجه البلاغة والقراءات ووجه المناسبة، وأسباب النزول عند وجوده، والمعنى الاجمالي وقد اشتلمت هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد ثلاثة فصول وخاتمة وهى على النحو الآتي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والمنهج الذي اتبعه الباحث، وخطة البحث.

التمهيد: وقد اشتمل على تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها، وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها.

الفصل الأول: وقد اشتمل على أربعة مباحث لمقاصد وأهداف سورة الأحقاف.

الفصل الثاني: وقد اشتمل على أربعة مباحث لمقاصد وأهدف سورة محمد.

الفصل الثالث: وقد اشتمل على خمسة مباحث لمقاصد وأهداف سورة الفتح من الآيات (1- 17).

الخاتمة:

وقد ذكر فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم هذه النتائج أن علم مقاصد وأهداف الآيات القرآنية يضع حلولاً للأزمات التي تعاني منها الأمة الإسلامية، فيما يتعلق بجانب العقيدة والأخلاق والتربية التي هي منهج الحياة وغيرها، وكذلك ظهر لنا من خلال الرسالة الكثير من اللطائف البيانية التي تظهر إعجاز القرآن في جميع جوانبه، وروعة نظمه وغيرها الكثير.

Abstract

In this thesis I dialed with an analytic study of the aims and purpose of t fifty – one hizb of the holy quran (Al – Ahqaff , Mohammed and Al – Fathh(1-7) suras.

I chose these suras because off the important subject that they include which you will face during my study and research.

In this study , I look the analytice and object sulabus and I also elicited the aims and purposes of athe verses which we study.

After I explained the manings of the vocabulary, the yhetorical faces, the recitals, situation s, the reasons of desceding if there and the whole meaning . The thesis includes: the introduction, preface, theer chapters and the end as following .

Introduction:

It includes one importance of the subject the reasons of choosing the subject, the research aims , the previous studies , the sullabus which the researcher folloing and the research plan .

Preface:

It in cludes the defining of the analytic study with its requires and deining the importance of the aims and purposes.

Chapter (I):

It includes (4) researches of the aims and purposes of At Ahqaff sura .

Chapter (II):

It includes (4)researches of thei aims and purposes of Mohammed sura.

Chapter (III):

It includes (5) researches of the aims and purposes of At fathh sura , verses

(1-17)

The end:

The researcher mentioned the most important conelusions like the name of science that studies the aims and purposes of the Quran verses , which suggests sdutions to the Islamic vrises , alogn with doctrine , morals and education.

The thesis shows many bright sides of the beauticul elocution which presents the mirdes of Quran and its wonderful composition of verses .

ٱلإِهدَاْءُ

إلى بؤرة النور التي عبرت بي نحو الأمل، واتسع قلبه ليحتوي حلمي حين ضاقت الدنيا فروض الصعاب من أجلي وسار في حلكة الدرب ليغرس معاني النور والصفاء في قلبي، ولطالما تفطر قلبه شوقاً وحنت عيناه الوضاءتان إلى رؤيتي متقلداً شهادة الماجستير وها هي قد أينعت لأهديك إياه لتهديني الرضا والدعاء... والدي الحبيب.

وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها، إلى التي تمتهن الحب وتغزل الأمل في قلبي عصفورة ترفرف فوق ناصية الأحلام، فتبقى روحي متلألأةً ومشرقة طالما كانت دعواتها عنوان دربي، لكِ يا والدتي الحبيبة يا سيدة القلب والحياة أهديك رسالتي لتهديني الرضا والدعاء.

وإلى التي صبرت علي شهوراً طوال، كنت فيها متفرغاً على البحث والدراسة، فتحملت هجر الليالي ومدافعة الأيام في غرة حياتنا الزوجية، زوجتي الغالية التي شاركتني الحياة بكدها وتعبها قبل هنائها وسعادتها وساندتني بكل تفاصيلها، والتي كلما تأملت فيها استحضرت عظمة نعمة ربي حينما أكرمني بها، ولا أدري كيف أخطو سبيل الشاكرين أمام نعمة ربي علي، فنعم الزوجة الصالحة لي مع خالص حبي لها والدعاء.

وإلى من يهفو قلبي حباً وشوقاً لهم، زينة الحياة الدنيا ونعمة ربي علي، توأمي الحبيبان إلى قلبي محمد وياقوت، أحدثكم الآن ولكنكم لا تعون ما أقول ولكن حسبكم مايختبئ لكم خلف تلك الكاميرا، لتحدثكم عندما تكبرون بالصوت والصورة عما يجول في خاطري الآن، أسأل الله أن يحفظكم بحفظه ويرعاكم برعايته.

وإلى إخوتي وأسرتي وأحبتي ومن له صلة حب ومودة بي ولكن لا أستطيع حصرهم، أهدي لكم رسالتي هذه لتهدونني الحب والدعاء.

وإلى أهل العلم عامة وأهل العلم الشرعي خاصة أهدي بحثي هذا.

والله ولى التوفيق

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله أولاً وآخراً أن وفقني ويسر لي إتمام هذه الرسالة على هذا النحو، فهو صاحب الفضل والمِنة واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقاً من قول الله ﷻ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل:40] وامتثالاً لقول النبي ﷺ :(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1] فإنه يسرني ويشرفني أن أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني وتقديري إلى مشرفي فضيلة **الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة** الذي تفضل علي بقبول الاشراف على هذه الرسالة، وبذل الكثير من وقته لنصحي وإرشادي، فكان نعم الأستاذ الموجه، والأخ الناصح، أسأل الله ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور: عبد الكريم حمدي الدهشان

والدكتور: عبد الله سالم سلامة

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما بذلاه من جهد في دراستها وتنقيحها كي تخرج في أبهى حُلَّة وأحسن صورة، فهم أهل لتقويمها، وإظهار مواطن الخلل فيها.

وكذلك الشكر موصول إلى من قام بتنسيق هذه الرسالة، وقدم لي الكثير من وقته في سبيل إنجازها ابن عمي **وأخي العزيز: ماجد أحمد عامر**.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية منارة العلم والعلماء، وأخص بالذكر أساتذتي في كلية أصول الدين، كما أشكر الدراسات العليا التي أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي العليا.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدَّم لي عوناً ومساعدة سواء بتوفير كتاب أو بإسداء نصيحة أو بدعاء في ظهر الغيب أو بمراجعة فصل من الفصول .

راجياً المولى ﷻ أن يبارك فيهم جميعاً وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، البر والصلة/الشكر لمن أحسن إليك، 339/4: رقم الحديث 1954] حديث صحيح.

المحتويات

إقـــــرار.....أ
ملخص الرسالة.....ت
Abstract.....ث
الإهدَاْءُ.....ج
شكر وتقدير.....ح
المقدمة.....1
أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:.....2
ثانياً: أهداف البحث:.....2
ثالثاً: الدراسات السابقة:.....3
رابعاً: منهج البحث:.....3
الفصل التمهيدي.....13
المبحث الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها.....**14**
المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.....14
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.....15
المطلب الثالث: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.....18
المبحث الثاني : تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها.....**19**
المطلب الأول: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً.....19
المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً.....20
المطلب الثالث: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.....21
الفصل الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحقاف.....**27**
المبحث الأول: تعريف عام بسورة الأحقاف.....**28**
المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها.....28
المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها.....29
المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.....30
المطلب الرابع: مناسبة سورة الأحقاف لما قبلها وما بعدها.....31
المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة.....31
المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة.....33
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية (1_14).....**35**
المطلب الأول: إثبات الوحدانية لله ونفي الشركاء.....35
المطلب الثاني: الافتراء على النبي ﷺ بأن القرآن سحر.....39
المطلب الثالث: تصديق الكتب السماوية للقرآن واستكبار اليهود عن الإيمان به.....42

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآيات (15_25) 47
المطلب الأول: وجوب البر بالوالدين والإحسان لهما 47
المطلب الثاني: حرمة عقوق الوالدين وأنها من الكبائر 51
المطلب الثالث: عقوبة قوم عاد 56
المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية(26_35)..... 60
المطلب الأول: إيمان الجن بالقرآن وتصديقهم له..... 60
المطلب الثاني: آيات وقدرة الله تعالى 64
الفصل الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة محمد..... 68
المبحث الأول: تعريف عام بسورة محمد ﷺ..... 69
المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها..... 69
المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها 70
المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها 71
المطلب الرابع: مناسبة سورة محمد لما قبلها وما بعدها من السور 72
المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة..... 73
المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة..... 73
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية (1_13)..... 75
المطلب الأول: بيان طريقي الفلاح والخسران 75
المطلب الثاني: أحكام الجهاد في سبيل الله..... 78
المطلب الثالث: تقرير قاعدة العاقل من اعتبر بغيره..... 81
المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(14_23)..... 85
المطلب الأول: التقوى هو الميزان للنعيم أو للعذاب 85
المطلب الثاني: الاستغفار من أعظم العبادات القولية 88
المطلب الثالث: قطع الأرحام نوع من أنواع الفساد في الأرض 91
المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(24_38) 94
المطلب الأول: حال المنافقين بعد ردتهم وعند قبض أرواحهم والتذكير بحكمة الجهاد..... 94
المطلب الثاني: البلاء سنة إلهية ليميز الخبيث من الطيب 97
المطلب الثالث: حرمة الركون إلي الأعداء مع القدرة على قتالهم..... 100
الفصل الثالث: الدارسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفتح..... 104
المبحث الأول: تعريف عام بسورة الفتح..... 105
المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها..... 105
المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها 106
المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها 107

المطلب الرابع: مناسبة سورة الفتح لما قبلها وما بعدها من السور 108
المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة..... 108
المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة..... 109
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية (1_7)..... 111
المطلب الأول: الذنب الذي غفر لرسول اللهﷺ ليس من الكبائر 111
المطلب الثاني: الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي..... 113
المطلب الثالث: بيان مكافأة الله لرسوله والمؤمنين على صبرهم وجهادهم..... 115
المطلب الرابع: بيان أن الكافرين يحزنون ويغمون لنصرة المؤمنين 117
المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية (8_10)..... 120
المطلب الأول: تقرير نبوة محمد ﷺ وعلو شرفه ومقامه..... 120
المطلب الثاني: وجوب الوفاء بالعهد، وحرمة نقضه..... 123
المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(11_14)..... 127
المطلب الأول: إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك دلالة على أنه كلام الله 127
المطلب الثاني: حرمة ظن السوء في الله ﷻ ووجب حسن الظن به تعالى..... 130
المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(15_17)..... 133
المطلب الأول: وعد الله رسوله والمؤمنين بغنائم خيبر..... 133
المطلب الثاني: الهدف من الغزو نشر الدعوة أو دفع الجزية..... 136
المطلب الثالث: دفع الإثم والحرج في التخلف عن الجهاد لعذر العمى أو العرج أو المرض 139
الخاتمة:..... 141
أولاً: النتائج..... 141
ثانياً: التوصيات..... 143
المصادر والمراجع..... 144
أولاً: فهرس الآيات القرآنية..... 152
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية..... 155
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم..... 156

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد الأنبياء والمرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله المرسلين وقيوم السموات والأَرَضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبراً ونتأمله تبصراً ونسعد به تذكراً ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه ونجتني ثمار علومه الموصلة إلى مرضاة رب العالمين ..... أما بعد:

إنَّ علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، فهي التي تختص بأشرف كتاب على ظهر الأرض ألا وهو القرآن الكريم، حيث إنَّ شرف العلم بشرف المعلوم فهي تتعلق بكلام الله ﷻ فلا أعظم ولا أشرف من كلام الله، وخير علوم القرآن هو علم التفسير الذي نحن اليوم بصدده فلا أعظم من البحث عن معاني الآيات ومراد الله تعالى من بين رياضه وأزهاره فهو كتابه الدال عليه، لمن أراد معرفته وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول فلا يغلق إذا غلَقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميلُ به الآراء حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]

فقد رأيت أن أساهم في دراسة الأهداف والمقاصد القرآنية وذلك من خلال هذا البحث والذي بعنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الواحد والخمسين من القرآن الكريم

(سورة الأحقاف، سورة محمد، سورة الفتح1 –17)

فأسأل الله تعالى أن يكرمني بالتوفيق والسداد وأن يجعل هذا العمل خدمة لدينه خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتنا جميعاً.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- تتعلق هذه الدراسة بكتاب الله تعالى الذي هو أجلُ وأعظم كتاب على الأرض، فالبحث فيه عبادة لله ﷻ.

2- التدبر والتأمل في كتاب الله والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج كنوزه، فهو الهداية والنجاة والطريق الموصل إلى الله تعالى.

3- بيان المقاصد والأهداف للآيات التي من شأنها أن تحفظ على الإنسان عقيدته، وتبعث على رسوخ الإيمان في النفس.

4- النهوض بالأمة الإسلامية من خلال فهم النصوص القرآنية فهماً صحيحاً، والقدرة على تطبيقها.

5- الاهتمام المتزايد والإقبال بكثرة على المقاصد والأهداف القرآنية باعتبارها حاجة العصر والمستقبل.

ثانياً: أهداف البحث:

1- ابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه تعالى من خلال خدمة القرآن الكريم وذلك بالمساهمة ببيان مقاصد وأهداف السورة التي هي محل البحث.

2- بيان الموضوعات الأساسية للحزب الواحد والخمسين وإظهار مقاصد الحزب وأهدافه.

3- خدمة لعلوم القرآن عامة التي هي من أعظم وأشرف العلوم، وخاصة علم التفسير الذي نحن اليوم بصدده.

4- إظهار إعجاز القرآن وذلك من خلال بيان روعة نظمه، وجمال كلماته، وفصاحة أساليبه، ودقة أحكامه وبيان مقاصده الحسنة وأهدافه السامية.

5- بيان أن القرآن هو السبيل للنهوض بهذه الأمة، وإيجاد الحلول للقضايا المستجدة والمعاصرة التي تمر بها الأمة الإسلامية.

6- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين وذلك من خلال البحث في الموضوعات القرآنية.

7- إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع جديد يتناول أهداف ومقاصد الحزب الحادي والخمسين من القرآن الكريم وذلك في إطار دراسة تحليلية.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

جاء هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم وسوره.

رابعاً: منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي والإستنباطي في التفسير وكانت طريقتي في الدراسة على النحو الآتي:

1- تقسيم آيات الحزب الواحد والخمسين إلى فصول، يتفرع عنها عدة مباحث، لكل مبحث آياته المناسبة حسب موضوع آيات البحث نفسه، وقد قمت بعرض وتوضيح ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها تحليلاً عميقاً، وقمت بالاستدلال لهذه المقاصد والأهداف بالمنهج التحليلي بما فيه من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من علوم القرآن، والسنة، وعلوم اللغة وإعجاز القرآن، وغيرها.

2- كتابة الآيات مضبوطة بالحركات وبالرسم العثماني مع عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

3- خدمة البحث بالرجوع إلى المراجع الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير وغيرها.

4- الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع وتخريجها تخريجاً علمياً مع إيراد حكم العلماء عليها ما أمكن ما لم تكن في الصحيحين.

5- بيان معاني المفردات الغريبة فى كتب غريب القرآن والمعاجم اللغوية.

6- عمل تراجم للأعلام المغمورين الذين سيردون في البحث من مظانها وتوثيقها.

7- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وتوثيقها حسب الأصول، ومراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.

8- توثيق المراجع بذكر اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، ورقم المجلد والصفحة، وترك الباحث مواصفات المرجع لقائمة المراجع في نهاية البحث.

9- عمل فهارس لكل من الآيات والأحاديث والأعلام المترجم لهم في البحث والمصادر والمراجع والموضوعات.

10- ترتيب فهرس الأحاديث والأعلام والمصادر والمراجع حسب الأحرف الهجائية.

خامسا: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وهو كما يلي:

المقدمة وتشمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ثانياً: أهداف البحث

ثالثاً: الدراسات السابقة

رابعاً: منهج البحث

خامساً: خطة البحث

التمهيد (بين يدي الدراسة)

ويشمل على مطلبين:

المطلب الأول : تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها وتشمل على:

أولاً: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية.

ثالثاً: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها ويشمل على:

أولاً: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

رابعاً: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات .

خامساً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحقاف

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف عام بسورة الاحقاف

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها.

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة.

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة .

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(1-14)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إثبات الوحدانية لله ونفي الشركاء

أولآ: إثبات الوحدانية للّه ونفي الشركاء.

ثانيآ: إثبات نبوة محمد ﷺ.

ثالثآ: انتفاء العبث عن الله تعالى في خلقه للسماوات والأرض.

رابعاً: تقرير حقيقة من لا يَخلق لا يُعبد .

المطلب الثاني: الافتراء على النبي بأن القرآن سحر

أولاً: الافتراء على النبي بالسحر.

ثانياً: تقرير هدف الرسل وهو التذكير والانذار من عذاب الله.

المطلب الثالث: تصديق الكتب السماوية للقرآن وإستكبار اليهود على الإيمان به

أولاً: العدالة شرط للشهادة .

ثانياً: تقرير قاعدة من جهل شيئاً عاداه .

ثالثاً: شهادة التوراة للقرآن دليل على صحته .

رابعاً: الإيمان تصديق بالجنان وإقرار بالسان وعمل بالجوارح والأركان .

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(15_25)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(15_16)

أولاً: وجوب البر بالوالدين والإحسان لهما .

ثانياً: مدة الحمل قد تكون ستة أشهر فأكثر، والرضاع قد يكون حولين فأقل.

ثالثاً: التوسل بالتوبة إلى الله والانقياد له بالطاعة.

المطلب الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(17_20)

أولاً: حرمة عقوق الوالدين وأنها من الكبائر.

ثانياً: حب الوالدين للأبناء.

ثالثاً: الإنسان يحاسب علي قدر عمله والله لا يظلم أحدا.

رابعاً: الكِبر من أعمال القلوب والفسق من أعمال الجوارح .

المطلب الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(21_25)

أولاً: يذكر القرآن قصص الأمم الماضية لأخذ العبرة والعظات.

ثانياً: الله عز وجل يمهل الإنسان لكي يتوب ولكن ولا يهمله.

ثالثاً: الريح جند من جنود الله يعذب بها من يشاء.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(26_35)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(26_32)

أولاً: من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإيمان.

ثانياً: إثبات عالم الجن وتقريره .

ثالثاً: وجوب التأدب عند تلاوة القرآن بالإصغاء التام.

رابعاً: وجوب البلاغ عن رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف(33_35)

أولاً: تقرير عقيدة البعث والجزاء.

ثانياً: وجوب الصبر على الطاعات فعلاً، وعن المعاصي تركاً.

ثالثاً: اطلاق الفسق على الكفر باعتباره خروجا عن طاعة الله .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة محمد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة محمد

أولاً: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

خامساً: المحور الأساسي للسورة.

سادساً: الأهداف العامة للسورة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة سورة محمد(1_13)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد وأهداف سورة محمد(1_3)

أولاً: بيان طريقي الفلاح والخسران.

ثانياً: أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة.

ثالثاً: بيان الحكمة في ضرب الأمثال وهداية الناس.

المطلب الثاني: مقاصد وأهداف سورة محمد(4_9)

أولاً: وجوب الجهاد على أمة الإسلام.

ثانياً: إمام المسلمين مخير في الأسرى بين المنّ والفداء.

ثالثاً: بشرى المجاهدين في سبيل الله بإكرام الله لهم وإنعامه عليهم في الدنيا والآخرة.

رابعاً: يظفر بالنصر الحقيقي من نصر الله تعالى في دينِه وأوليائه.

المطلب الثالث: مقاصد وأهداف سورة محمد(10_13)

أولاً: تقرير قاعدة : العاقل من اعتبر بغيره.

ثانياً: تقرير ولاية الله لأهل الإيمان والتقوى.

ثالثاً: بيان الفرق بين الماديين وأهل الإيمان.

رابعاً: جاء القرآن لتقوية النبيﷺ واثبات حجته.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة محمد(14_23)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد وأهداف سورة محمد(14_15)

أولاً: التقوى هي السبب المورث للجنة.

ثانياً: بيان بعض نعيم الجنة.

ثالثاً: بيان بعض عذاب النار.

رابعاً: تقرير البعث والجزاء.

المطلب الثاني: مقاصد وأهداف سورة محمد(16_19)

أولاً: التحذير من اتباع الهوى فإنه يقود إلى العمى والصمم.

ثانياً: أشراط الساعة (كبرى ، صغرى).

ثالثاً: الاستغفار من أعظم العبادات القولية.

المطلب الثالث: مقاصد وأهداف سورة محمد(20_23)

أولاً: جواز تمني الخير من الله.

ثانياً: ذم الجبن والخور والهزيمة الروحية.

ثالثاً: قطع الأرحام هو نوع من أنواع الإفساد في الأرض.

رابعاً: عقوبة قاطع الرحم هي اللعن من الله وحجب البصيرة.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة سورة محمد(24_38)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد وأهداف سورة محمد(24_28)

أولاً: وجوب تدبر القرآن الكريم عند تلاوته و سماعه.

ثانياً: الارتداد عن الإسلام بسبب عدم الطاعة و تزيين الشيطان للعبد.

ثالثاً: التعاون مع الكافرين ضد المؤمنين هو ردة عن الإسلام.

رابعا: عقيدة عذاب القبر وأنه حق ثابت.

المطلب الثاني: مقاصد وأهداف سورة محمد(29_32)

أولاً: من أحب شيئا ظهر على وجهه ولفتات لسانه.

ثانياً: الابتلاء يكون لتتمايز الصفوف وليميز الله الخبيث من الطيب.

ثالثاً: الصد عن سبيل الله لن يضر الله شيئا والله محبط أعمال الكافرين.

المطلب الثالث: مقاصد وأهداف سورة محمد(33_38)

أولاً: وجوب طاعة الله وطاعة رسوله.

ثانياً: بطلان العمل الصالح بالرياء والفساد والردة.

ثالثاً: حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء مع القدرة على قتالهم.

رابعاً: التنفير من الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة.

خامساً: حرمة البخل مع الجدة والسعة.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفتح

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : تعريف عام بسورة الفتح

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها.

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة.

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الفتح(1_7)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الذنب الذي غفر لرسولﷺ ليس من الكبائر.

المطلب الثاني: الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

المطلب الثالث: بيان مكافأة الله لرسوله والمؤمنين على صبرهم وجهادهم.

المطلب الرابع: بيان أن الكافرين يحزنون ويغمون لنصرة المؤمنون.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الفتح(8_10)

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تقرير نبوة محمد ﷺ وعلو شرفه ومقامه.

المطلب الثاني: وجوب الوفاء بالعهد، وحرمة نقضه.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الفتح(11_14)

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك دلالة على أنه كلام الله.

المطلب الثاني: حرمة ظن السوء في الله عز وجل، ووجب حسن الظن به تعالى.

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الفتح(15_17)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وعد الله رسوله والمؤمنين بغنائم خيبر.

المطلب الثاني: الهدف من الغزو نشر الدعوة أو دفع الجزية.

المطلب الثالث: دفع الإثم والحرج في التخلف عن الجهاد لعذر العمى أو العرج أو المرض.

الخاتمة وتشمل على:

أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات

الفهارس وتحتوي على:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر و المراجع.

5- فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها

المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً

إذا نظرنا إلى مُصطلح الدِراسة التحليلية نجد أنه مُركب تركيباً وصفياً، يتكون من لفظين لذا لابد لنا من تعريف هذا المصطلح أولاً بصورته المنفردة، ثم بصورته المركبة.

أولاً: الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحاً

1- تعريف الدراسة لغة واصطلاحاً:

أ- **الدراسة لغة:** مصدر مشتق من الفعل الثلاثي(درَسَ) دارِس يُدارِس مُدارسةً فهو مُدارس، ودارسه العلم: تبادله درسه معه[1]، ودرس الكتابَ درساً أي قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه، وإذا نظرنا إلى كتب معاجم اللغة نجد أن كلمة الدراسة جاءت بعدة معاني منها: الدراسة الرياضة والممارسة، المدراس الموضع الذي يدرس فيه كتاب الله، والمدرسة مكان الدرس والتعليم[2].

ب- **الدراسة اصطلاحاً:** بالنظر إلى كُتب التعريفات، فإن الباحث لم يقف عند تعريف العلماء للدراسة من الناحية الاصطلاحية، لذا فإنه يمكن تعريفه جرياً على أصلِه اللغوي، بالقول إنه (الوصول إلى الطريق الخفي للمعلومة، بعد المكابدة والجهد والتعب في خدمة أصل المعلومة العلمي).

2- تعريف التحليلية لغة وإصطلاحاً:

أ- **التحليل لغةً:** هي مصدر من الفعل حلل تقول: حللتُ العقدة أحلُها حلاً إذ فتحتها فانحلت[3]، والتحليل هو تقسيم الُكل إلى أجزاء وردُ الشيئ إلى عناصره، وتحليل الجملة وبيان أجزاءها ووظيفة كل منها[4].

ب- **التحليل اصطلاحاً:** بعد النظر في تعريف العلماء يتبين للباحث أنَّ التحليل اصطلاحاً هو: تجزئة الشيء إلى عناصر، للتعرف على جوهرها للوصول إلى المراد.

---

(1) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج738/1).

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج280/1).

(3) الفراهيدي، العين (ج27/3).

(4) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج550/1).

الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

بعد البحث والتنقيب لم يعثر الباحث على تعريف خاص بالدراسة التحليلية، وقد تناولت الدراسة التحليلية بهدف الوصول إلى مقاصد وأهداف السور القرآنية، وليس الهدف هو تحليل الآيات، فقد تناولها أهل التفسير وتوسعوا في ذلك كثيراً، وقد عرف العلماء التفسير التحليلي بأنه: هو سير المفسر مع الآية القرآنية وتفكيك الكلام لفظة لفظة، وبيان ما فيها من معانٍ وإعراب وبلاغة وأحكام وغيرها، مستعيناً بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة والاستعانة بعلوم القرآن[1].ويرى الباحث أن الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات يمكن تعريفها بأنها: سير الباحث مع النص القرآني وإرجاع أجزائه إلى أصولها، مستعيناً بالعلوم التي تعين على فهم النص القرآني وإعمال العقل بما أوتي من رجاحة وفطنة، من أجل الوصول إلى مضامين وأسرار ودلالات النص القرآني ومراد الله تعالى.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

إنَّ البحث العلمي النزيه هو أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحثٍ أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفهِ، والبحث في العلوم الشرعية عامةً والتفسير خاصةً من أهم ما يجب الإعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه[2]، والدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سور القرآن الكريم هي بيان مراد الله ﷻ من كلامه، لذلك لا يجوز لأي أحدٍ اقتحام هذا المجال إلا بعد أن تتوفر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله، وهي على النحو التالي:

أولا: متطلبات ذاتية للباحث

1- صحة الإعتقاد، لأن العقيدة لها الأثر العظيم في أقوال وأفعال أصحابها، وهي الموجه الأساسي التقوى وإخلاص النية لله ﷻ، فالتقوى خير زاد لمن أراد أن ينهل من العلم وأن يرزق السداد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:282]، وهذا وعد من الله تعالى بأن من اتَّقَاهُ عَلَّمَهُ، أي يجعل فى قلبه نُورًا يَفْهَمُ بِهِ ما يلقى إليه[3]

(1) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين(ج278/1).
(2) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن(ج340/1).
(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج406/3).

2- التجرد من الهوى، فالأهواء تدفع بأصحابها إلى نصرة مذاهبهم سواء كانت على الحق أو غير ذلك قَالَ تَعَالَى:﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الجاثية:24].

3- أن يكون متواضعاً لين الجانب، فالتكبر والصلف يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ وهو القدوة قَالَ تَعَالَى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: 159].

4- أن يتوفر لديه الفطنة والذكاء والقدرة على الفهم والاستنتاج، وأن تكون لديه الفراسة الكافية لتجعله يصيب عند الترجيح بين الأقوال فيختار الأمثل والأصوب[1].

5- أن يتحلى بالتأني والروية فى حديثه فلا يسرد كلامه سرداً سريعاً قد لا يفهمه القارئ، بل عليه أن يفصل الكلام ويبينه ويوضحه ويخرج الحروف من مخارجها لكي يفهمه المستمع[2].

ثانيا: متطلبات علمية للباحث

وهي تتمثل في جملة العلوم المساعدة والضرورية للكشف عن الحقيقة التي بدونها تذهب الجهود هدراً دون جدوى، لأنها لم تتهيأ لها الأسباب الكفيلة بإيصالنا إلى كشف الحقيقة التي نطمح ببيانها وتوضيحها، وهي على النحو التالي:

1- التفسير بالمأثور: وهو تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين.

2- التفسير بالرأي المحمود: وهو التفسير الذي يعتمد على الاجتهاد والعقل في فهم آيات القرآن واستباط الأحكام دون أن يتعارض مع التفسير بالمأثور.

3- دقة الفهم للنص القرآني التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، واستنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة[3].

4- الاعتماد على علوم القرآن: فإن لها عظيم الأثر في هذه الدراسة والوصول بها إلى الأهداف المنشودة، فأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والعام والخاص، والمطلق والمقيد

---

(1) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن(ج1/5).

(2) معبد، نفحات من علوم القرآن(ص127).

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن(ص342).

والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن هي من أهم العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر، بل إن علوم القرآن بالنسبة للمفسر هي مفتاح علمه التي لا يمكن الاستغناء عنه[1].

5- العلم باللغة العربية وفنونها قال مجاهد[2]:(لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغة العرب) [3]، قال أبو حيان الأندلسي[4] في معرض ذكره لما ينبغي أن يحيط به المفسر" ومع ذلك فعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان" [5].

6- العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن: كعلم القرآءت، وعلم التوحيد، وعلم الأصول، وعلم الفقه، وعلم الحديث والسيرة والتاريخ وكل ذلك من متطلبات واحتياجات الدراسة التحليلية.

7- ربط الآيات بواقع الأمة المعاصر، وواقع المسلمين المؤلم الذي ساده الضعف والانهزام، فمن خلال هذه الدراسة يتم تفسير الآيات تفسيراً معاصراً وكأن القرآن نزل في هذا الزمان ليعالج المشكلات والأزمات التي يعاني منها المسلمون.

---

(1) انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن(ص342).

(2) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ ويقال: أنه مات وهو ساجد. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء(ج41/2).

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(ج213/4).

(4) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها، بعد أن كف بصره، من كتبه البحر المحيط في التفسير. انظر: الزركلي، الأعلام(ج152/7).

(5) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط(ج109/1).

المطلب الثالث: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية

تتلخص أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية من خلال نقاط عديدة أهمها:

1- أن الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم هي أقرب إلى مُراد الله، من خلال النص المحكم.

2- يظهر لنا من خلال الدراسة التحليلية للسور القرآنية انتظام الكلام وائتلافه، بحيث تكون السورة كالبناء المتكامل، يقول الإمام البقاعي[1] "من حقق المقصود من السورة، عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها" [2].

3- الدراسة التحليلية للسور القرآنية تؤدي إلى إتقان بعض علوم القرآن، منها: أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك مما له صلة بالقرآن [3].

4- التعرف إلى الأحاديث النبوية المفسرة للآيات القرآنية، وكذلك التعرف على أقوال الصحابة التفسيرية للقرآن الكريم.

5- التعرف إلى الجوانب الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية.

6- تعمل الدراسة التحليلية على ربط الآيات بالواقع المعاصر، من خلال جو نزول السورة، ووقائع وأحداث تناولتها السورة، مما يضع بين أيدينا تصورات وحلول لمشكلات نعاصرها ونعيشها واضحة في زماننا.

7- تؤدي الدراسة التحليلية إلى البحث عن الحق والتجرد عن الهوى.

8- يؤدي التبحر في هذا العلم والغوص في معانيه إلى رسوخ الإيمان في القلب، وثقة المؤمن بأن كتاب الله تعالى هو العلاج والدستور لجميع جوانب الحياة.

9- توصل إلى التواضع ولين الجانب، بل والانكسار إلى الله تعالى.

---

(1) البِقَاعي: هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. انظر: الزركلي، الأعلام(ج56/1).

(2) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الأهداف والسور(ج149/1).

(3) انظر: الأصفهاني، تفسير الراغب(ج39/1).

المبحث الثاني

تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً

يركز هذا المطلب على تعريف دقيق لكل من مقاصد وأهداف السور القرآنية من الناحيتين: اللغوية، والاصطلاحية، ومن ثم يتم التركيز على أوجه الاتفاق والافتراق بين كل منهما، مع أهمية استنباط المقاصد والأهداف في الآيات القرآنية.

أولا: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً

1- المقاصد لغةً

المقاصد جمع مقصد وأصلها يرجع إلي الفعل الثلاثي (ق ص د) وقصدت الشيء أي طلبته بعينه، وإليه قصدي ومقصدي[1]، ويطلق في اللغة على معانٍ كثيرة منها:

أ- استقامة الطريق قال تعالى:﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:9]، أي على الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ثم قال تعالى:﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾[النحل:9]، أي: ومنها طريق غير قاصد[2] .

ب- التوسط وعدم الإفراط والتفريط؛ لقوله تعالى ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان:19]، ويقال: فلان مقتصد في النفقة والقصد في المعيشة ألا يسرف ولا يُقَتِّر[3]، وهو إتيان الشيء، تقول: قصدته، وقصدت له وقصدت إليه بمعنى واحد.

ت- الكسر ويكون في أي وجهٍ كان، تقول: قصدت العود قصداً، كسرته، وقيل: هو الكسر بالنصف قصدته، أقصده، وقصدته فانقصد وتقصد.

ث- الغرض والهدف، يقال: فهم غرضه أي قصده، والغرض هو الهدف الذي يرمى إليه[4].

---

(1) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج504/2).
(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج3642/5).
(3) انظر: الهروي، تهذيب اللغة(ج274/8).
(4) الرازي، مختار الصحاح (ج226/1).

ج- الاعتماد والائتمان يقال: قصده يقصده قصداً، وقصد له، وأقصدني إليه الأمر، وهو قصدك أي تجاهك.

2- المقاصد اصطلاحاً: ذكر العلماء لهذا المصطلح تعريفات عديدة، ومن ذلك:

أ- تعريف ابن عاشور[1] وذلك بقوله: " هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصر ملاحظتها بالكون على نوعٍ خاص من أحكام الشريعة"[2].

ب- تعريف الأستاذ أحمد الريسوني[3] وذلك بقوله: "هي الغايات التي وضعتها الشريعة، لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[4].

التعريف الاصطلاحي المختار للمقاصد:

يرى الباحث أنه يمكن تعريف المقاصد القرآنية بالقول: هي الغايات والمضامين التي يحتويها القرآن الكريم والتي تدور حولها السور في لوحة تكاملية سامية وعظيمة.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً

1- الأهداف لغةً:

الأهداف جمع مفردها هدف، والهدف هو " كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل، ومنه سمي الغرض هدفاً، وبه شُبه الرجل العظيم[5] وهدف إلى الأمر: أي جعله هدفاً وغرضاً يسعى إليه[6].

---

(1) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق(باشا)، ولي قضائها سنة 1267هـ ثم الفتيا (سنة 1277) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس عام 1393هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (ج6/173).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج1/235).

(3) أحمد بن عبد السلام بن محمد الريسوني ولد بشمال المغرب سنة 1953م التحق بكلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس، وحصل منها على الإجازة العليا سنة 1978م حصل منها على: شهادة الدراسات الجامعية العليا سنة 1986م ودكتوراه الدولة في أصول الفقه سنة 1992م، عضو مؤسس ونائب رئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين انظر: موقع أحمد الريسوني على الانترنت.

(4) موقع الاستاذ أحمد الريسوني على الانترنت(*ahmad-rissooni com*).

(5) ابن منظور، لسان العرب(ج9/346).

(6) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة(ج3/2333).

2- الأهداف اصطلاحاً:

ذكر العلماء تعريفات عديدة لهذا المصطلح، ونحن ليس بصدد الحديث عن تعريف الأهداف من الناحية التعليمية فلكل تخصص مجالاته وإنما نتحدث عن الأهداف من الناحية التربوية الإسلامية ومنها:

أ- الأهداف هي الغايات والرغبات التي نسعى لتحقيقها منذ نقطة البداية لأي مخطط أو منهج، سواء كانت هذه الأهداف عاجلة أم آجلة، واضحة أم خفية، معلومة أم مجهولة[1].

ب- ما انعقد العزم على انعقادها في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبيت من حصول ذلك التحويل إثر فتره من التكوين تحدد مستقبلاً.

ج- هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وهي التي تنفع العباد في دينهم ودنياهم، سواء كان تحصيلهم لجلب المصالح، أو درء المفاسد[2].

وبالنظر إلى التعريف اللغوي والتعريفات الاصطلاحية للأهداف، يتبين أن أقرب التعريفات وأدقها هو أن الهدف من وجهة نظر الإسلام أنه تربية وإعداد المسلم الصالح المصلح صاحب الشخصية الكاملة المتكاملة، في شتى مجالات وجوانب حياته العقائدية، والعقلية، والأخلاقية، والاجتماعية، والاقتصادية.

المطلب الثالث: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

لقد أنزل الله القرآن لهداية الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، هذه الهداية لا تتحقق إلا بالتأمل الدقيق في نصوص القرآن الكريم، ومن هنا يأتي علم مقاصد وأهداف السور، فهو علم عظيم الصلة بالقرآن الكريم الذي هو أول مصدر من مصادر التشريع، وهذا العلم يراد منه الوقوف على الأغراض والمعاني والموضوعات الرئيسية التي تدور حولها السور أو الآيات، وقد يعبر بعض المفسرين عن مصطلح مقاصد السور بالوحدة الموضوعية أو نحو ذلك، يقول الإمام البقاعي: رحمه الله "السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعدد أنيق الورق بأفنانها الدرر وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر"[3].

---

(1) انظر: مدكور، مناهج التربية أساسها وتطبيقاتها(ص:47).

(2) العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية(ص:79).

(3) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور(ج149/1).

لذلك فإن أهمية هذا العلم تبرز فيما يلي:

1- علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن وهو الهداية والتدبر، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:29]، فالله ﷻ أمر بالتدبر والتمعن في القرآن حتى نصل إلى مراده ثم العمل بمقتضاه، قال الإمام الشاطبي[1]: " فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه فالمُعبر عنه والمراد به" [2].

2- يبرز علم المقاصد إعجاز القرآن وبلاغته، فإن السورة في وحدة بنائها وترابطها هو قمة الإعجاز والبلاغة، لذا تحدى الله العرب أن يأتوا بسورة من مثله، فالقرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك متين الأسلوب، قوي الاتصال يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار[3].

3- بمعرفة مقصد السورة، تنتظم آياتها وتظهر المناسبات بين آياتها فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد، قال سعيد حوى في تفسيره[4] "إن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها"[5].

4- إن هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان وزيادة الثقة في النفس، فيستنير القلب وتقر العين، بما يتضح لها من حكم ومقاصد جليلة وأسرار تم اكتشافها، تلك التي تمثل روح القرآن وأسراره، وذلك مما لا يحصل في غيره.

5- إن علم المقاصد يساعد في تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بالنظر والتأمل في الآيات، وبما توحي إليه السورة من افتتاحها واختتامها وسابقها ولاحقها وموضوعاتها.

---

(1) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: الموافقات في أصول الفقه والاعتصام وشرح الألفية سماه المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية، توفي سنة 790هـ. انظر: الزركلي، الأعلام(ج75/1).

(2) الشاطبي، الموافقات(ج262/4).

(3) انظر: حوى، الأساس في التفسير (ج25/1).

(4) سعيد بن محمد ديب حوى، ولد في مدينة حلب بسوريا سنة 1935م كان من رجال الدعوة المتميزين في عصره، انضم لجماعة الاخوان المسلمين سنة 1952م عمل خطيباً ومدرساً في عدد من الدول العربية، من أشهر مؤلفاته الاساس في التفسير، الاساس في السنة، توفى بالأردن سنة 1989م بعد صراع مع المرض رحمه الله، انظر:(https://ar.wikipedia.org/wiki).

(5) حوي، الأساس في التفسير (ج25/1).

6- حاجة الناس كافة إلى معرفة هذه المقاصد وتلك الأهداف، التي تمثل حلاً لمشكلاتهم في شتى نواحي الحياة.

7- توسيع مدارك الباحثين في أسرار القرآن الكريم.

المطلب الرابع: طرق معرفة مقاصد السور والآيات

يجب على الباحث السير على بعض الخطوات للوصول إلى مقاصد وأهداف السور ومنها:

أ- الاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتني بمقاصد السور.

ب- مراعاة السياق والقرائن، إن فهم جزء من الكلام دون فهم بقيته يعد نقصاً، فكيف بكلام الله سبحانه وتعالى إذ لابد من فهم الكلام ضمن السياق الذي جيء فيه.

ت- المعايشة الروحية الحية للسورة، قال سيد قطب رحمه الله : " إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل"[1].

يعد الإمام البقاعي رحمه الله رائد وعمدة علم مقاصد السور، فهو الذي رأس قواعده وضبط منهجه، وأول من جعله علماً مستقلاً وأفرده في مؤلفاته .

المطلب الخامس: أهم المصادر في مقاصد وأهداف السور والآيات

لقد أمرنا الله بالتدبر في آيات كتابه، وما ذلك إلا لهدف نبيل، ومغزى عظيم يغفل عنه كثير من الناس، وهو أن نفهم أهداف القرآن الكريم، وما سبب نزوله، وأن ندرك مقاصده وأن نفهم مراده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والتنبيه على مقاصد الشريعة وما فيها من إخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وما سدته من الذريعة إلى الشرك دقَّة وجلَّه فإن هذا هو أصل الدين وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين"[2].

ومن هنا نستطيع أن نتعرف على مقاصد السور والآيات وأن نستكشف دلائلها من عدة أسس وهي:

---

(1) سيد قطب، معالم في الطريق(ج18/1).

(2) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم(ج385/2).

أ- القرآن الكريم:

هو المصدر الأول لمعرفة مقاصد وأهداف السور والآيات، فهو الطريق السريع الذي يوصلنا لذلك، فمقاصد القرآن تعرف أولاً بكتاب الله، قال الشاطبي: " نصوص الشارع مفهمة لمقاصده، بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية"[1].

وقال ابن عاشور: " في القرآن أدلة على مقاصد الشريعة"[2].

ب- السنة النبوية:

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ونجد أن النبي ﷺ له بعض الأقوال والآثار الواردة في فضائل السور والآيات، بما يؤكد على عظم فضل هذه السور والآيات منبثق من عظم مقاصدها وأهدافها، فعن أبي هريرةﷺ قال رسول اللهﷺ (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)[3].

ت- الآثار الواردة عن السلف:

مما يستعان به على معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات ما ورد عن سلفنا الصالح من التعبير عن السورة باسم أو وصف أو غرض يبين مقصودها، ومن أمثلة ذلك : أن سورة " التوبة " تسمى كذلك بسورة " الفاضحة " لأنها كشفت خبايا المنافقين، فقد روى عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس ﷺ: سورة التوبة، قال:(بل هي الفاضحة، مازالت تتنزل ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها) [4] .

فجاء الوصف لهذه السورة من خلال مقصودها وهو الحديث عن المنافقين وكشف خباياهم وتوضيح وبيان أوصافهم وكثرة ما ورد فيها من نشر فضائحهم.

---

(1) الشاطبي، الموافقات(ج125/3).

(2) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية(ص189).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين/ استحباب صلاة النافلة في بيته، 539/1: رقم الحديث780].

(4) [مسلم: صحيح مسلم، التفسير/ سورة براءة، 2322/4: رقم الحديث3031].

ويمكن لنا أن نقسم المفسرين في العناية بهذا العلم إلى أصناف[1]:

الصنف الأول: المفسرون الذين أشاروا إلى مقاصد السورة من غير تصريح، فنجد أن غالب المفسرين المتقدمين قد عنوا بهذا العلم ضمن عنايتهم بعلم النزول وأحواله، وعنايتهم بعلم المناسبات، دون التصريح بلفظ الغرض أو المقصد ومن هؤلاء:

- ابن جرير الطبري في تفسير (جامع البيان في تأويل آي القرآن).
- ابن عطية في تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) [2].
- ابن كثير في تفسير (القرآن العظيم).
- الإمام القرطبي في تفسير (الجامع لأحكام القرآن).

الصنف الثاني: المفسرون العلماء الذين صرحوا بمقصد السورة، وكان لهم عناية في هذا العلم، من غير أن يكون لهم تصريح محدد في ذلك ومن هؤلاء:

- الزمخشري في تفسيره(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الآقاويل في وجوه التأويل)[3].
- الفخر الرازي في تفسيره (التفسير الكبير).
- الشاطبي في كتاب (الموافقات).

---

(1) انظر: سيد قطب، معالم في الطريق(ج18/1).

(2) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، وتوفي بلورقة له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في عشر مجلدات، وقيل في تاريخ وفاته سنة 541 و 546، انظر: الزركلي، الأعلام(ج282/3).

(3) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها عام 538هـ. انظر: الزركلي، الأعلام(ج 178/7).

الصنف الثالث: المفسرون والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السورة وسلكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم ومن هؤلاء :

- الفيروز أبادي[1] في كتابه (بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز).
- البقاعي في كتابه (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور).
- سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن).
- الطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير).
- تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي[2].
- محمد علي الصابوني في كتابيه(قبس من نور القرآن) و(صفوة التفاسير).
- وهبة الزحيلي في كتابه (التفسير المنير).

(1) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي: من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) وانتقل إلى العراق، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه (القاموس المحيط) (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) وتوفي في زبيد،. انظر: الزركلي، الأعلام(ج146/7).

(2) المَراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، من العلماء والمفسرين، تخرج بدار العلوم سنة 1909م ثم عمل مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، من كتبه (الحسبة في الإسلام) و(الوجيز في أصول الفقه) و(تفسير المراغي) توفي بالقاهرة. انظر: الزركلي، الأعلام(ج258/1).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحقاف

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الأحقاف

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية (1_14)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية (15 _25)

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية (26_35)

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الأحقاف

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها

أولاً: أسماء السورة

سميت هذه السورة (سورة الأحقاف) في جميع المصاحف وكتب السنة بهذا الاسم، ووردت تسميتها بهذا الاسم في كلام عبد الله بن مسعود ﷺ، حيث روى الإمام أحمد بن حنبل بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (أقرأني رسول الله ﷺ سورةً من الثلاثين من آل حمِ يعني الأحقاف قال: وكانت السورُة إذا كانت أكثر من ثلاثين آيةً سُمِّيت الثلاثين)[1]، وكذلك ورددت تسميتها في كلام عبد الله بن عباس ﷺ في حديث أخر، وحديث ابن مسعود السابق يقتضي أنها تسمى ثلاثين إلا أن ذلك لا يختص بها فلا يعد من أسمائها ولم تذكر في (الإتقان) في عداد السور ذات أكثر من اسم[2].

ثانياً: وجه تسميتها

سميت (سورة الأحقاف) للحديث فيها عن الأحقاف وهي مساكن عاد في اليمن الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية بسبب كفرهم وطغيانهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ ﴾ [الأحقاف: 21]، والحقف: رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج وانحناء، ومنه احقوقف الشيء أي أعوج[3].

ثالثاً: عدد آياتها

هذه السورة من السور المختلف في عدد آياتها عند جمهور العلماء، وهذا الاختلاف مبني على عدة أمور منها أنه هل يوجد في السورة نسخ أم لا، وهل ﴿**حم**﴾ تعتبر آية مستقلة أم لا،

---

(1) [أحمد بن حنبل: المسند 106/4: رقم الحديث3981].

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج5/26).

(3) انظر: أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط(ج4/1).

فعدد آياتها عند جمهور أهل الأمصار أربعاً وثلاثين آية، وعدها أهل الكوفة خمساً وثلاثين آية، واختلافهم يرجع إلى الأسباب التي ذكرنا سابقاً[1].

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها

أولاً: مكان وزمان نزول السورة

قال القرطبي "نزلت سورة الأحقاف في مكة وهو على إجماع من العلماء"[2] ، باستثناء بعض الآيات منها فقد أخرج ابن مردويه[3] بسنده قال: نزلت سورة حم الأحقاف بمكة ولم يُختلف منها إلا في آيتين، وهو قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:10] وقوله تعالى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35] فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وضعتا في سورة مكية[4]، وفي (الإتقان) ثلاثة أقوال بإستثناء آيات ثلاث منها الاثنتان اللتان ذكرهما ابن عطية والثالثة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الْأَحْقَاف: 15- 18] [5].

---

(1) انظر: ابن الجوزي، فنون الأفنان(ج308/1)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج178/16).

(3) أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير: حافظ مؤرخ ومفسر، من أهل أصبهان، له كتاب في(التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) و(مسند) و(مستخرج) في الحديث. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج308/17).

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز(ج91/5).

(5) انظر: السيوطي، الإتقان فى علوم القرآن(ج53/1).

ثانياً: ترتيبها

تعد سورة (الأحقاف) هي السورة السادسة والأربعون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فقد كان بعد سورة الجاثية وقبل الذاريات، والذي يراجع ما كتبه العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم، يجد أن الحواميم قد نزلت مرتبة كترتيبها في المصحف[1].

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها

أولاً: فضائل السورة

من فضائل هذه السورة أنه ذكر فيها الاستقامة التي هي من أهم وأعظم أهداف الشريعة الإسلامية حيث روى الإمام أحمد بسنده عن سفيان بن عبد الله الثقفي(قال قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال أبو معاوية بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم)[2].

ثانياً: جو نزول السورة

نزلت هذه السورة في عبد الله بن سلام فقد أخرج البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاصﷺ أنه قال:(ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ)[3]، وذكرت بعض كتب التفسير أن المراد بالشاهد هو موسى بن عمران، ودليلهم أن هذه السورة مكية وإسلام عبد الله بن سلام كان بالمدينة، يرى وبعض المفسرين أن الآية عامة لا تختص بعبد الله بن سلام ولا بموسى بن عمران، والذي يرجحه الباحث أنها نزلت في عبد الله بن سلام، لما روي من أحاديث صحيحة في سبب نزول هذه الآية، وأيضاً لا مانع من وجود آيات مدنية في سور مكية.

(1) انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط(ج173/13).

(2) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد 413/3: رقم الحديث 15454] إسناده صحيح.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، مناقب الأنصار/مناقب عبد الله بن سلام، 37/5: رقم الحديث 3812].

المطلب الرابع: مناسبة سورة الأحقاف لما قبلها وما بعدها

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها(سورة الجاثية)

1- ووجه اتصالها بما قبلها أنه تعالى ختم سورة الجاثية السالفة بالتوحيد، وذمّ أهل الشرك وتوعدهم عليه، وافتتح هذه بالتوحيد وتوبيخ المشركين على شركهم أيضا[1].

2- تطابق مطلع السورتين في: حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم[2].

3- تشابه موضوع السورتين وهو إثبات التوحيد والنبوة والوحي والبعث والمعاد.

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها(سورة محمد)

ختمت سورة الأحقاف بتوبيخ المشركين على الشرك، وأنهم سيعرضون على النار، وأنهم من الهالكين، وبدأت سورة محمد التي تليها بتوبيخهم على كفرهم، ومطالبتهم بالدليل عليه، وبيان عظمة الإله الخالق المجيب من دعاه، على عكس تلك الأصنام التي لا تستجيب لدعاتها إلى يوم القيامة.

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة

المتأمل في سورة (الأحقاف) يراها قد أقامت الأدلة على وحدانية الله تعالى، وعلى كمال قدرته، وعلى صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن هذا القرآن من عند الله ﷻ، وعلى أن يوم القيامة حق وأقامت الأدلة على كل ذلك، بأبلغ الأساليب وأحكمها، ومن ذلك أنها ساقت ألوانا من مظاهر قدرة الله تعالى في خلقه، كما ذكرت شهادة شاهد من بنى إسرائيل على أن الإسلام هو الدين الحق، كما طوفت بالناس في أعماق التاريخ لتطلعهم على مصارع الغابرين، الذين أعرضوا عن دعوة الحق، كما عقدت عدة مقارنات بين مصير الأخيار ومصير الأشرار[3].

(1) انظر: المراغي، تفسير المراغي(ج3/26).

(2) وهبة الزحيلي، التفسير المنير(ج5/26).

(3) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط(ج174/13).

وقد تناولت سورة الأحقاف عدة جوانب منها:

1- بدأت سورة الأحقاف بالحديث عن تنزيل الكتاب وهو القرآن من الله تعالى، ثم أقامت الأدلة على وجود الله والتوحيد والحشر، وذمت المشركين عبدة الأصنام، وردت عليهم رداً دامغاً مقنعاً، وأجابت عن شبهاتهم حول الوحي والنبوة.

2- ذكرت سورة الأحقاف حال الفريقين: فريق أهل الاستقامة الذين أقروا بتوحيد الله واستقاموا على ملته، وأطاعوا والديهم وأحسنوا إليهم، فكانوا أصحاب الجنة، والفريق الآخر الخارجين عن هدي الفطرة، المنهمكين في شهوات الدنيا، المنكرين البعث والحساب، العاقين لوالديهم، فهؤلاء هم أصحاب النار[1].

3- حذرت السورة المشركين من الإصرار على شركهم، وذكرت لهم نماذج من المشركين من قبلهم كقوم عاد وثمود، وبينت لهم أن هؤلاء الكافرين لم تغن عنهم أموالهم ولا قوتهم شيئا، عند ما حاق بهم عذاب الله[2].

4- يرجع بهم الله تعالى إلى مصرع عاد، عندما كذبوا بالنذير، ويعرض من القصة حلقة الريح العقيم، التي توقعوا فيها الري والحياة فإذا بها تحمل إليهم الهلاك والدمار، والعذاب الذي استعجلوا به وطلبوه[3].

5- ختمت سورة الأحقاف بتسلية الرسول ﷺ وفي إدخال السرور على قلبه بأن ذكرته بحضور نفر من الجن إليه، للاستماع إلى القرآن الكريم، وكيف أنهم عند ما استمعوا إليه أوصى بعضهم بعضاً بالإنصات وحسن الاستماع، وكيف أنهم عند ما عادوا إلى قومهم دعوهم إلى الإيمان بالحق الذي استمعوا إليه، وبالنبي الذي جاء به[4].

---

(1) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير(ج5/26).

(2) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط(ج173/13).

(3) انظر: سيد قطب، في ظلال القران(ج3253/6).

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط(ج174/13).

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة

1- الهدف الأبرز لسورة الأحقاف هو إثبات وجود الله تعالى، وإبطال الشركاء في الأولوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وبيان أن القرآن من عند الله تعالى[1].

2- إثبات وتصديق النبوة المحمدية، وذلك من خلال بيان أن القرآن تنزيل من الله تعالى على نبيه ﷺ[2].

3- افتتحت سورة الأحقاف مثل سورة الجاثية بما يشير إلى إعجاز القرآن، للاستدلال على أنه منزل من عند الله[3].

4- بيان تآخي وتلاقي الكتابين التوراة والقرآن فشهادة أحدهما للآخر أثبتت صحته.

5- وجوب تعلم اللغة العربية لمن أراد أن يحمل رسالة الدعوة المحمدية ، فقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف:2].

6- فضل الاستقامة حتى قيل أنها خير من ألف كرامة، والاستقامة هي التمسك بالإيمان والعبادة كما جاء بذلك القرآن وبينت السنة[4] فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: (قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم)[5].

7- وجوب البر بالوالدين بطاعتهما في المعروف والإحسان لهما في جميع أمور حياتهما، فقد أعطاهما الله تعالى مكانة عظيمة.

8- بيان أنه لا أضل في الحياة من أحد يدعو من لا يستجيب له أبداً كمن يدعون الأصنام والقبور والأشجار بعنوان التوسل والاستشفاء والتبرك[6].

9- بيان سنة من سنن الله تعالى في كونه، وهي سنة التغير والتبديل بإهلاك المجرمين الذين يصرون على الشرك والمعاصي، واستبدالهم بالمؤمنين الصالحين.

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج6/26).
(2) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج46/5).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج6/26).
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط(ج173/13).
(5) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/جامع أوصاف الإسلام، 65/1: رقم الحديث38].
(6) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج46/5).

10- بيان أن الإعراض عن دين الله والإصرار على الفسق، واستمرار الخروج عن طاعته إذا استوجب صاحبه العذاب ونزل به لم يغن عنه ذكاؤه ولا دهاؤه ولا علمه وحضارته ولا علوه وتطاوله.

11- بيان أن الآيات والحجج وضرب الأمثال وسوق العبر والعظات لا تنفع في هداية العبد، إذا لم يرد الله هدايته **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ ﴾ [النحل:16] ويحيق به العذاب ويهلكه جزاء تكذيبه وكفره.

12- اثبتت سورة الأحقاف عالماً غير مرئي للإنسان وهو عالم الجن وتقريره في هذا السياق ولذا كان إنكار الجن كإنكار الملائكة كفرً، كمن أنكر شيئاً معلوم من الدين بالضرورة.

13- وجوب التأدب عند تلاوة القرآن بالإصغاء التام، حيث **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾ [الاعراف: 204]

14- قررت سورة الأحقاف عقيدة البعث والجزاء التي لها الأثر الكبير في تغير مسار حياة المؤمنين والكافرين[1].

15- وجوب الصبر على الطاعات فعلاً، وعن المعاصي تركاً، وعلى البلاء بعدم التضجر والسخط.

16- وختمت السورة الكريمة بتثبيت فؤاد النبيﷺ وذلك من خلال حثهﷺ على الصبر والثبات، وبيان أحوال الأنبياء السابقين، والتمكين له في الأرض وبيان مصير الكافرين ومصير المؤمنين[2].

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج6/26).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج6/26).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية (1_14)

المطلب الأول: إثبات الوحدانية لله ونفي الشركاء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف1-6].

أولاً: أسباب النزول

أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال:(انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم فقال: لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلا منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم انصرف، فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد فأقبل، فقال: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال: فإني أشهد أنه النبي الذين تجدون)[1].

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿حمٓ﴾ من الحروف المقطعة التي استفتح الله بها العديد من السور القرآنية تكتب هكذا﴿حمٓ﴾ وتقرأ هكذا: حاميم[2]، وأقرب الأقوال إلى الصواب في معناها أنها جاءت للتحدي والإعجاز[3] وهو الذي يرجحه الباحث.

---

(1) [الطبراني: المعجم الكبير47/18 : رقم الحديث83].

(2) الصابوني، صفوة التفاسير(ج178/3).

(3) انظر: طنطاوي جوهري، التفسير الوسيط(ج177/13).

2- ﴿وَأَجَلٍ﴾ الأجل: مدةُ الشيء، والآجل ضد العاجل، وماء أجيل: مستنقع، وأجل في الجواب أي نعم[1].

3- ﴿شِرۡكٌ﴾ النصيب والشريك يجمع على شركاء وأشراك، وشاركت فلانا: صرت شريكه، رأيت فلانا مشتركا، إذا كان يحدث نفسه كالمهموم، والشرك أيضاً الكفر[2].

4- ﴿أَثَٰرَةٖ﴾ البقية أو تأتي بمعنَى عَلامة، قال الله تعالى:﴿ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾ يعني أو بقية من خطّ، ويقال سمنت الإبل على أَثارة: أي على بقية من شحم كان قبل ذلك[3].

رابعاً: المعنى الإجمالي

افتتح الله تعالى هذه السورة كسابقاتها من السور بالأحرف المقطعة ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده بهذه الأحرف إذ هي من المتشابه الذي يجب الإيمان به وتفويض أمر معناه إلى الله منزله، ثم تحدثت الآيات عن نزول القرآن أنه من الله تعالى العزيز في ملكه الحكيم في صنعه وتدبيره، ثم قال الله تعالى عن خلق السموات والأرض أنه لم يكن إلا لحِكَمٍ عالية وليس من باب العبث واللعب، وإن وقت إفنائها لأجل لا يعلمه إلا الله ، ثم يخبر تعالى بأن الذين كفروا بتوحيد الله ولقائه وآياته ورسوله عما خوفوا به من عذاب الله المترتب على كفرهم وشركهم معرضون غير مبالين به، وذلك لظلمة نفوسهم، وقساوة قلوبهم[4]، وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرءون منهم وكذلك وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا[5].

---

(1) ابن فارس، مجمل اللغة(ج88/1).

(2) انظر: الجوهري، الصحاح (ج1593/4).

(3) الحميري، شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم(ج177/1).

(4) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج45/5).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (ج96/22).

خامساً: وجوه البلاغية

1- صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ للتعظيم[1].

2- عطف الخاص على العام في قوله تعالى:﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ غرضه الإهتمام به كعطف جبريل وميكائيل على ملائكته في قوله تعالى:﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:98].

3- استفهام إنكاري في قوله تعالى :﴿أَرَءَيْتُم﴾ وهي غاية في الاستهزاء والسخرية من هذه العقول الواهية حيث أطلق الرؤيا وأراد الإخبار والعلاقة السببية، واستعمل همزة الاستفهام في الأمر، لأن كلا من الاستفهام والأمر يدل على الطلب[2].

4- جناس اشتقاق بين ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ و﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾[3].

5- قوله تعالى:﴿أَرُونِي﴾ يراد به التعجيز والمبالغة في عدم خلقهم شيئاً[4].

6- قوله تعالى:﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ﴾ (مَنْ) نكرةٌ موصوفةٌ أو موصولةٌ، وهي للتحقير[5].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- إثبات النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله على رسوله المنزل عليه وهو محمد ﷺ[6].

2- انتفاء العبث عن الله تعالى في خلقه السموات والأرض وما بينهما وفي كل أفعاله وأقواله.

3- تقرير عقيدة البعث والقيامة، وتقريره أنه لو لم توجد القيامة لتعطل إستيفاء حقوق المظلومين من الظالمين، ولتعطل توفية الثواب على المطيعين، وتوفية العقاب على الكافرين[7].

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان(ج207/7).
(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج8/26).
(3) المرجع السابق، ص8.
(4) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان(ج213/7).
(5) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون(ج661/9).
(6) الجزائري، أيسر التفاسير(ج46/5).
(7) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب(ج6/28).

4- دلت آية: ﴿خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ على أمور ثلاثة: هي إثبات الإله بخلق هذا العالم، وإثبات أن إله العالم عادل رحيم، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي إلا لأجل الفضل والرحمة والإحسان، وإثبات البعث والقيامة، إذ لو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين، ولتعطل إيفاء الثواب للمطيعين، وإقامة العقاب على الكافرين، وذلك ينافي كون خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق.

5-بينت الآيات أنه لا أضل في هذه الحياة من أحد يدعوا من لا يستجيب له أبداً كمن يدعون الأصنام والقبور والأشجار بعنوان التوسل والاستشفاء والتبرك[1].

6- الرد على عبدة الأصنام بأنها عديمة القدرة على خلق الأشياء، وغير عالمة أصلاً بعبادة الوثنيين لها، وكل من الأمرين ينفي صلاحيتها للعبادة، فهي لا قدرة لها أصلا على الخلق والفعل، والإيجاد والإعدام، والنفع والضر، وهي جمادات لا تسمع دعاء الداعين، ولا تعلم حاجات المحتاجين، وإذا انتفى العلم والقدرة من كل الوجوه، لم يبق مسوغ للعبادة ببديهة العقل، فهي لا تضر ولا تنفع[2].

7- أرشد قوله تعالى: ﴿أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ إلى جواز الاعتماد على الخط المكتوب، فقد كان الإمام مالك -رحمه الله- يحكم بالخط إذا عرف الشاهد خطه، أو عرف الحاكم خطه أو خط من كتب إليه، فيحكم به، ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير، وقد روي عنه أنه قال:(يحدث الناس فجورا، فتحدث لهم أقضية) ولكن أجاز مالك الأخذ بشهادة الشهود على أن هذا خط الحاكم وكتابه، وكذلك الوصية، أو خط الرجل باعترافه بمال لغيره يشهدون أنه خطه، ونحو ذلك [3].

8- ان الله تعالى لم يبق من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن في التعلق بها والاستدلال منها إلا الرؤيا، فإنه أذن فيها وأخبر أنها جزء من النبوة، وكذلك الفأل، لكن دون أن تتعلق بأحكام أو شرائع أو عقائد.

---

(1) الجزائري، أيسر التفاسير(ج46/5).

(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج13/26).

(3) انظر: المرجع السابق، ص12.

المطلب الثاني: الافتراء على النبي ﷺ بأن القرآن سحر

قال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۦ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾[الأحقاف]

أولاً: أسباب النزول

ذكر الواحدي[1] وغيره عن ابن عباسﷺ أنه قال: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة[2]لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله، متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ أي لا أدري أأخرج كما رأيت في منامي أم لا[3].

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ جمع بينة، وهي الحجة الواضحة[4].

2- ﴿ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ أي اختلقه، وفرى فلان كذا إذا خلقه أي من تلقاء نفسه، والاسم الفرية[5].

3- ﴿تُفِيضُونَ﴾ أي تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره، وأفاض الناس من عرفات إلى منى: اندفعوا بكثرة إلى منى بالتلبية[6].

---

(1) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، ومولده ووفاته بنيسابور، من كتبه الوسيط و الوجيز كلها في التفسير، وأسباب النزول. انظر: الزركلي، الأعلام(ج255/4).

(2) (بُرْهَةٌ) من الدهر، بضم الباء وفتحها: أي مدة طويلة من الزمان. انظر: الرازي، مختار الصحاح(ج33/1).

(3) انظر: الواحدي، أسباب النزول(ج254/1).

(4) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج684/1).

(5) ابن منظور، لسان العرب(ج154/15).

(6) المرجع السابق،(ج212/7).

4- ﴿**بِدْعًا**﴾ البِدْعَةُ: اسم ما ابتدع من الدين وغيره، ونقول: لقد جئت بأمرٍ بديع أي: مبتدع عجيب، بِدْعاً مِنَ الرسل: أي لست بأول مرسل[1].

ثالثاً: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى إذا تتلى على المشركين آياتنا البينات، ومعجزاتنا الواضحات التي هي أوضح من الشمس وأقوى من فعل السحر، قالوا لأجل الآيات التي هي الحق من عند الله، هذا سحر بين ظاهر فإنها تعمل عمل السحر، وتفرق بين المرء وما يحبه ويهواه، وتخلق من المسلم رجلا آخر، ثم ذكر الله تعالى شبهة ثانية وهي قولهم أن هذا القرآن من صنيع محمد ﷺ اختلقه من عند نفسه ونسبه إلى الله، فقال الله لنبيه قل لهم يا محمد إن افتريته على سبيل الفرض، عاجلني الله بالعقوبة على الكذب، وأنتم لا تقدرون منع العذاب عني، ثم قال النبي ﷺ ربكم أعلم بما تفيضون فيه وتندفعون إليه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميتها سحراً، كفى به شهيداً يشهد بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالتكذيب والجحود، وهو الغفور الرحيم لمن تاب وأناب ورجع إليه، ثم قال الله تعالى لنبيه ﷺ قل لقومك وذكرهم بأنك لم تكن بدعاً من الرسل، فلم أكن أولهم بل سبقني إبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام، ولست أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا فالأمر مفوض إليه، وإن كان وعد المؤمنين بالنصر والخير وأوعد الكافرين بالخذلان والشر، أما في الآخرة فالله قد أكد بأن أولياءه لا خوف عليهم فيها ولا هم يحزنون[2].

رابعاً: وجه المناسبة

بعد تقرير التوحيد ونفي الأضداد والأنداد، ذكر الله تعالى أمر النبوة وشبهات المشركين حولها وحول القرآن، فأبان أنهم يسمون معجزة القرآن بالسحر، وأنهم متى سمعوا القرآن قالوا: إن محمداً ﷺافتراه واختلقه من عند نفسه، ثم أبطل تعالى شبهتهم على لسان نبيه ﷺ، فقال: إن افتريته على سبيل الفرض، فإن الله تعالى يعاجلني بالعقوبة، وأنتم لا تقدرون على دفع العذاب عني، فكيف أقدم على هذه الفرية، وأعرض نفسي لعقابه[3].

---

(1) الفراهيدي، العين(ج54/2).

(2) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج441/3).

(3) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج16/26).

خامساً: وجوه البلاغة

1- قوله تعالى: ﴿لِلْحَقِّ﴾ لام العلة وليست لام تعدية فعل القول، إلى المقول له ، أي قال بعض الكافرين لبعض في شأن الذين أمنوا ، ومن أجل إيمانهم، والحق: هو الآيات فعدل عن ضمير الآيات إلى إظهار لفظ الحق للتنبيه على أنها حق، وأن رميها بالسحر بهتان عظيم[1].

2- قوله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أم: بمعنى (بل) الإضرابية، والإضراب: الانتقال من معنى لآخر والاستفهام للإنكار والتعجب من صنيعهم، وبل للإنتقال عن تسميتهم الآيات سحراً إلى قولهم: إن رسول الله افترى ما جاء به، وفي ذلك من التوبيخ والتقريع مالا يخفى[2].

3- استعارة تبعية في قوله تعالى:﴿بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ استعمل الإفاضة في الأخذ في الشيء والاندفاع فيه[3].

4-جناس الاشتقاق في قوله تعالى:﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾[4].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- عادى مشركوا مكة النبي ﷺ، فكذبوا كون القرآن نازلا من عند الله، وكذبوا النبوة، ووصفوا القرآن بأنه سحر واضح[5].

2- ولم يكتفوا بوصف القرآن بأنه سحر، بل قالوا ما هو أشنع من ذلك، قالوا: إن محمدا اختلقه وافتراه من عند نفسه، لا من عند الله.

3- رد الله عليهم افتراءهم بأنه لو افتراه محمد ﷺ على سبيل الفرض والتقدير لعجل الله له العقوبة في الدنيا، ولم يقدر أحد أن يرد عنه عذاب الله، والله ﷻ أعلم بما يتقوله ويخوض به من التكذيب هؤلاء المشركون، وكفى بالله شاهدا على أن القرآن من عند الله، وأنه يعلم صدق نبيه وأنهم مبطلون، وبالرغم من ذلك فالله الغفور لمن تاب، الرحيم بعباده المؤمنين، فإذا آمن هؤلاء المشركون، غفر لهم ما قد سلف منهم من الذنوب والمعاصي.

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج13/26).

(2) الشوكاني، فتح القدير(ج18/5).

(3) البغوي، معالم التنزيل(ج191/4).

(4) الزحيلي، التفسير المنير(ج14/26).

(5) المرجع السابق، ص21.

4- ليس النبي ﷺ أول رسول يرسل، بل هو خاتم الرسل الكرام، قد كان قبله رسل، فليست دعوته إلى التوحيد، وإنكار عبادة الأصنام، وعدم علمه بالغيب مقصورا عليه، وتلك دعوة قديمة هي دعوة جميع الرسل.

5- النبي ﷺ غير عالم بالغيبيات إلا بطريق الوحي، فلا وجه لطلب إخباره بمغيبات لا يعلم بها، فهو لا يدري بما يفعل به ولا بالناس من أحوال الدنيا وأحوال الآخرة، من الأحكام والتكاليف وما يؤول أمر المكلفين إليه.

6- مهمة الأنبياء هي البلاغ عن الله تعالى، وهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

المطلب الثالث: تصديق الكتب السماوية للقرآن واستكبار اليهود عن الإيمان به

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف].

أولاً: أسباب النزول

1- قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾

في سبب نزول هذه الآية ذكر البخاري بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: (ما سمعت النبي ﷺ يقول: لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية)[1].

(1) سبق تخريجه ص30.

2- قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾

في سبب نزول هذه الآية قال ابن عباسﷺ: (نزلت هذه الآية في أبي بكر ﷺ وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربنا الله وعزير ابنه ومحمد ﷺ ليس بنبي فلم يستقيموا، وقال أبو بكر ﷺ: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد ﷺعبده ورسوله)[1].

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿إِفۡكٌ﴾ الإفك: الكذب وأفَكَ الناس: كذبهم وحدثهم بالباطل، والإفك: الإثم، والجمع الأفائك، ورجلٌ أفاك وأفيك وأفوك: كذاب[2].

2- ﴿لِّسَانًا﴾ اللسان في اللغة يذكر ويؤنث، والجمع ألسنة، واللِّسن بكسر للام وقيل: لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها، ويقال: رجل لسن إذا كان ذا بيان وفصاحة[3].

3-﴿لِّيُنذِرَ﴾ الْإِنْذَار الإعلام بالشيء الذي يحذر منه، وكل مُنْذِرٍ مُعْلِم وليس كل معلم منذر، والاسمُ من الْإِنْذَار النَّذير[4].

4-﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الْخلد، بِالضَّمِّ: الْبَقَاء والدوام كالخلود، وَفِي الأَصْل: الثَّبَات المديد دَامَ أم لم يدم والخلد أَيْضا: الْجنَّة[5] قال الطبري خالدين أي ماكثين فيها أبدا[6].

ثالثاً: القراءات

1- ﴿لِّيُنذِرَ﴾ قرأ نافع وابن عامر ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد وحجتهم قوله تعالى:﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [إبراهيم:44] وقرأ الباقون بالخطاب

(1) الواحدي، أسباب النزول(ص251).
(2) ابن منظور، لسان العرب(ج390/10).
(3) المرجع السابق،ص390.
(4) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج199/14)
(5) ابن منظور، لسان العرب(ج390/10).
(6) الطبري، جامع البيان في تأويل آى القرآن(ج180/23).

بالغيبة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والمعنى لينذر القرآن أو لينذر الله وحجتهم قوله تعالى:﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف:2][1].

2- ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قرأ يعقوب بفتح الفاء بلا تنوين وضم الهاء[2].

رابعاً: المناسبة

بعد أن ذكر الله تعالى الحجج والأدلة في الآيات السابقة على صدق النبي ﷺ أعيد الأمر هنا بأن يقول لهم حجة أخرى، لعلها تردهم إلى الحق، فقال الله تعالى لهم: إذا فرضنا أن القرآن من عند الله وقد كفرتم بذلك، كيف يكون حالكم عند الله تعالى، وأقحم في هذا أنه لو شهد شاهد من أهل الكتاب على صدق الرسول، وهذا إستدراج لهم للوصول إلى الحق في درجات النظر، فقد بادئهم بأن ما أحالوه من أن يكون رسولاً من عند الله ليس بمحال، إذ لم يكن أول الناس جاء برسالة من الله[3].

خامساً: المعنى الاجمالي

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وليس معجزاً ولا مختلقاً كما تزعمون، وأنتم تكفرون به وتصرون على العناد، وحجة أخرى أنه وشهد شاهد من بنى إسرائيل، أي رجل منصف بعيد عن الشبهة عارف بالتوراة ملم بها، فليس المراد به شخصاً بعينه كعبد الله بن سلام أو موسى عليه السلام كما قال بعض المفسرين، ويرى الباحث أنه لا ضير أن يكون عبد الله بن سلام، فشهد هذا الرجل من بنى إسرائيل على مثل الذي في القرآن من الدعوة إلى التوحيد، وإثبات البعث، والحث على الخير، فآمن هذا الرجل واستكبرتم أنتم عن الإيمان وكفرتم بالقرآن، عندها فقد ظلمتم أنفسكم والله لا يهدى القوم الظالمين، وهناك حكاية أخرى لبعض مفترياتهم في شأن المؤمنين، قال الكفار لو كان هذا الدين حقّا والقرآن خيرا ما سبقنا إليه الضعفاء، والفقراء، والعبيد، ورعاة الشاء، وما علموا أن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ممن يستحق ذلك، وإذا لم يهتدوا بعد هذا بالقرآن ظهر عنادهم، فليس لهم حجة في عدم الاهتداء، فقالوا هذا إفك قديم فرد الله عليه، وكيف ذلك ومن قبله كتاب موسى وهو التوراة إماما يقتدى به ورحمة للناس، وهذا القرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ناطقاً بلسانا عربيا

(1) عبد الرحمن بن زنجلة، حجة القراءات(ج663/1).
(2) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر(ج503/1).
(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج28/26).

مبينا، نزل بلسان أنزله ربك لينذر به الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بالشرك، وهو هدى وبشرى للمحسنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الطريقة المثلى، وساروا عليها مخلصين مؤمنين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أولئك هم أصحاب الجنة خالدين فيها وذلك الجزاء بما كانوا يعملون[1].

سادساً: وجوه البلاغة

1- قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هذا الأسلوب في الجدل يراد به زعزعة الإصرار والعناد في نفوس أهل مكة، وإثارة التخوف في نفوسهم، والتحرج من المضي في التكذيب، ومع اليقين الجازم بأن هذا القرآن من عند الله، فقد استخدم أسلوب التشكيك لا أسلوب الجزم للغرض الذي أسلفنا، وهو واحد من أساليب الإقناع في بعض الأحوال[2].

2- الآية من الاحتباك: ذكر الإيمان أولاً دليلاً على ضده ثانياً، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانياً دليلاً على أضدادها أولاً، وسره أنه شكر سببي السعادة ترغيباً وترهيباً[3].

3- استعارة مكنية في قوله تعالى: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حيث وصف الكتاب بالرحمة، والرحمة: اسم مصدر لصفة الراحم وهي من صفات الإنسان، ووصف الكتاب بالرحمة لكونه سبباً في نفع المتبعين لما تضمنه من أسباب الخير في الدنيا والآخرة[4].

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- عادى المشركون (مشركو مكة) النبي ﷺ، فكذبوه وأنكروا أن يكون القرآن نازلاً من عند الله، وكذبوا النبوة، ووصفوا القرآن والنبي ﷺ بأنه سحر واضح[5].

2- تقرير قاعدة من جهل شيئا عاداه، إذ المشركون لما لم يهتدوا بالقرآن قالوا هذا إفك قديم، وكذلك هم المشركون في كل زمان، يعتمدون تشويه الدعوة، ويصفونها بأوصاف تنفر منها البشر.

3- بيان تآخي وتلاقي الكتابين التوراة والقرآن فشهادة أحدهما للآخر أثبتت صحته، وهذا يشهد بصدق النبي محمد ﷺ على أميته جعل الله بين يديه ما ينبئ على صدق دعوته.

---

(1) انظر: حجازي، التفسير الواضح (ج443/3).
(2) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3258/6).
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ج139/18).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج25/26).
(5) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج21/26).

4- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ﴾ (الفاء) للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن، لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق[1].

5- وجوب تعلم اللغة العربية لمن أراد أن يحمل رسالة الدعوة المحمدية، لأنه نزل بلسان عربي مبين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ [يوسف2] وكذلك أن أعظم وجوه الإعجاز هو الإعجاز البياني.

6- فضل الاستقامة حتى قيل أنها خير من ألف كرامة، والاستقامة هي التمسك بالإيمان والعبادة كما جاء بذلك القرآن وبينت السنة، أخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله الثقفي قال:(قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ (قل آمنت بالله ثم استقم) [2].

7- الشهادة هي وسيلة وأداة يتوصل بها إلى احقاق الحق وابطال الباطل، فلذا يشترط عدالة صاحبها والعدالة في الشريعة اجتناب الكبائر واتقاء الصغائر غالبا[3]، ولشدة ورع بعضهم ترك المباحات لئلا يقع في الشبهات.

8- لم يتوقف المشركون بوصف القرآن بأنه سحر، بل قالوا ما هو أشنع من ذلك، قالوا: إن محمدا اختلقه وافتراه من عند نفسه، لا من عند الله، وكذلك هم أعداء الإسلام يحاولون ضرب الأصول ليكون هدم الفروع أسهل.

9- رد الله عليهم افتراءهم بأنه لو افتراه محمد ﷺ على سبيل الفرض والتقدير لعجل الله له العقوبة في الدنيا، ولم يقدر أحد أن يرد عنه عذاب الله، والله أعلم بما يتقوله ويخوض به من التكذيب هؤلاء المشركون، وكفى بالله شاهدا على أن القرآن من عند الله، وأنه يعلم صدق نبيه وأنهم مبطلون[4].

10- ليس النبي ﷺ أول رسول يرسل، بل هو خاتم الرسل الكرام، قد كان قبله رسل، فليست دعوته إلى التوحيد، وإنكار عبادة الأصنام، وعدم علمه بالغيب مقصورا عليه، وتلك دعوة قديمة هي دعوة جميع الرسل[5].

---

(1) القاسمي، محاسن التأويل(ج442/8).

(2) سبق تخريجه ص33.

(3) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج51/5).

(4) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج21/26).

(5) المرجع السابق، ص21.

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآيات (15_25)

المطلب الأول: وجوب البر بالوالدين والإحسان لهما

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

أولاً: أسباب النزول

قال تعال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ روى الواحدي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباسﷺ قال:(أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ، وهو ابن ثماني عشرة، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون التجارة إلى بلاد الشام، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد رسول الله ﷺفي ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأل عن الدين، فقال له: من الرجل الذي في ظل السدرة فقال: ذاك محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب قال: هذا والله، نبي، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم الّا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين، والتصديق، وكان لا يفارق رسول الله ﷺفي أسفاره، وحضوره، فلما نبّئ رسول الله ﷺ – وهو ابن أربعين سنة، وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة أسلم، وصدّق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة

قال ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾[1].

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿كُرْهًا﴾ الكُرْهُ بالضم: المَشَقَّةُ يقال: قُمتُ على كُرْهٍ، أي على مشقَّة، ويقال أقامني فلانٌ على كرْهٍ بالفتح، إذا أكْرَهَكَ عليه[2].

(1) الواحدي، أسباب النزول(ج1/254).

(2) الجوهري، الصحاح(ج6/2247).

2- ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ الفَصْلُ: هو الحَجْزُ بينَ الشّيْئَيْن إِشْعاراً بانْتِهاءِ ما قَبْله، والفصال هو الفطام[1]وفَطَمَ الصبيَّ يَفْطِمه فَطْماً، فَهُوَ فَطِيمٌ: فصَلَه مِنَ الرَّضَاعِ، وَغُلَامٌ فَطِيم ومَفْطُوم وفطَمَتْه أُمه تَفْطِمه: فصَلته عَنْ رَضَاعِهَا[2].

3- ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ الشِّدَّة: الصلابة والنّجدة وثبات القلب، ورجلٌ شديد: شجاع، والأشد: مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة[3].

4- ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ معنى أوزعني ألهمني وأولعني به، وتأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك، وكفني عما يباعدني عنك[4].

ثالثاً: القراءات

1- ﴿إِحۡسَٰنًا﴾ قرأ الكوفيون إِحْسَانًا بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها، وكذلك هي في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقون بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة، ولا ألف وكذلك هي في مصاحفهم(حُسنا)[5].

2- ﴿كُرۡهٗا﴾ قرأ بفتح الكاف نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وهشام بخلفه، والباقون بالضم[6].

3- ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ فقرأ يعقوب وَفَصْلُهُ بفتح الفاء، وإسكان الصاد من غير ألف، وقرأ الباقون بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها[7].

4- ﴿نَتَقَبَّلُ ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ اختلفوا في﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ﴾،﴿ وَنَتَجَاوَزُ﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بنون مفتوحة فيهما (أَحْسَنَ) بالنصب وقرأ الباقون بالياء مضمومة فيهما (أَحْسَنَ) بالرفع[8].

---

(1) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج574/15).
(2) ابن منظور، لسان العرب(ج454/12).
(3) الفراهيدي، العين(ج214/6).
(4) ابن منظور، لسان العرب(ج391/8).
(5) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج373/2).
(6) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر(ج503/1).
(7) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج373/2).
(8) الداني، تحبير التيسير في القراءات العشر(ج556/1).

رابعاً: المعنى الإجمالي

أوصى الله تعالى الإنسان بالإحسان بوالديه وببرهما في جميع كتبه وعلى ألسنة كافة رسله، بوالديه أي أمه وأبيه إحساناً بهما، وذلك بكف الأذى عنهما وإيصال الخير بهما وطاعتهما في المعروف، وببرهما أيضاً بعد موتهما، يذكر الله تعالى معاناة الأم وتحملها مشقة الحمل تسعة أشهر، ومشقة الوضع وهي مشقة لا يعرفها إلا من قاسى آلامها كالأمهات، ثم بيان لمدة تحمل المشقة إنها ثلاثون شهرا، بعضها للحمل، وبعضها للإرضاع والتربية، ثم تبين الآيات حتى إذا بلغ أشده أي اكتمال قواه البدنية والعقلية وذلك من ثلاث وثلاثين سنة إلى الأربعين وبلغ أربعين سنة، قال أي الإنسان البار بوالديه المنفذ للوصية، ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ، وهي نعمة الإيمان والتوحيد والإسلام عليّ وعلى والديَّ، وأن يدفعه كذلك إلى العمل الصالح الذي يرضاه الله ويتقبله عن صاحبه، ثم قال الله: أن الذين يتصفون بهذه الصفات وهي البر بالوالدين، يتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز الله عن سيئاتهم ويوفيهم الله وعده لهم بالجنة [1].

خامساً: المناسبة

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه، عطف بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء:23]، وقوله تعالى:﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وقال هاهنا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما[2].

سادساً: الجوانب البلاغية

1- قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ بعد قوله ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ من قبيل ذكر الخاص بعد العام لزيادة العناية بالأم[3].

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر الفاسير(ج53/5).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج279/7).

(3) الزحيلي، التفسير المنير(ج30/26).

2- طباق بين قوله تعالى:﴿حَمَلَتْهُ﴾ ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾[1].

3- قوله تعالى:﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إذا ظرفاً لزمن مستقبل كان الفعل الماضي بعدها منقلباً إلى الاستقبال، وإنما صيغ بصيغة الماضي تشبيهاً للمؤكد تحصيله بالواقع، فهو استعارة[2].

4- قوله تعالى:﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾إضافة وعد إلى الصدق إضافة على معنى (مِنْ)، أي وعد من الصدق إذ لا يتخلف[3].

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- اعتنى الإسلام بالأسرة وجعلها هي اللبنة الأولى في بنائه، والمحضن الذي تدرج فيه الفراخ الخضر وتكبر وتتلقى رصيدها من الحب والتعاون والتكافل والبناء، والطفل الذي يحرم من محضن الأسرة ينشأ شاذا غير طبيعي في كثير من جوانب حياته، مهما توافرت له وسائل الراحة والتربية في غير محيط الأسرة[4].

2- أوصى الله الإنسان جنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنساناً بالإحسان مطلقة من كل شرط ومن كل قيد، فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى[5].

3- أمر الله تعالى الإنسان بالإحسان إلى الوالدين في المشاهدة والغيبة، وبجميع وسائل الإحسان الذي غايته حصول النفع لهما، وهو معنى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[6].

4- بينت الآيات أفضيلة آل أبي بكر الصديقﷺ على غيرهم من سائر الصحابة وبشارة الصديق وأسرته بالجنة، إذ آمنوا كلهم وأسلموا أجمعين وماتوا على ذلك[7].

---

(1)الزحيلي، التفسير المنير(ج30/26).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج31/26).
(3) المرجع السابق، ص31.
(4) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3261/6).
(5) المرجع السابق، ص 3261.
(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج32/26).
(7) الزحيلي، التفسير المنير(ج36/26).

5- إن حق الأم كما تقدم بدلالة الآية أعظم من حق الأب، لأنه تعالى قال أولاً:﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ فذكرهما معا، ثم خص الأم بالذكر، فقال:﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وذلك يدل على أن حقها أعظم، وأن تحملها المشاق بسبب الولادة أكثر.

6- خصت الآيات الإحسان للوالدين في زمان بلوغ الإنسان الأشد، وهو سن الأربعين، لأنه زمن يكثر فيه التكاليف بالسعي للرزق، إذ يكون له فيه زوجة وأبناء، وتكثر تكاليف المرأة فيكون لها فيه زوج وبيت وأبناء، فيكونان مظنة ان تشغلهما التكاليف عن تعهد والديهما والإحسان إليهما، فنبِها بأن لا يفترا عن الإحسان إلى الوالدين[1].

7- يجب على الإنسان أن يشكر نعمة الله عليه إذا بلغ أربعين سنة، وهي مرحلة كمال العقل والبنية، وأن يطلب من الله تعالى توفيقه للعمل الصالح الذي يرضيه، وأن يجعل الصلاح ساريا في ذريته، راسخاً متمكناً فيهم.

المطلب الثاني: حرمة عقوق الوالدين وأنها من الكبائر

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف].

أولاً: أسباب النزول

1- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾

أ- روى البخاري بسنده في سبب نزول هذه الآية عن يوسف بن ماهك، قال: كان مروان على الحجاز استعمله[2] معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج32/26).

(2)(استعمله) جعله عاملا له أي أميرا من قبله.

أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً،[1]فقال: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه، ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ﴾[الأحقاف: 17]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: (ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري)[2].

ب- (أخرج النسائي بسنده قال بلغ ذلك عائشة (حديث مروان) فقالت: كذبٌ والله، ما هو به، وإن شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺلعن أبا مروان، ومروان في صلبه، فمروان فضضٌ من لعنة الله)[3].

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿أُفٍّ﴾ الأُفُّ والأَفَفُ: من التّأفيف تقول: قد أفّفتُ فلاناً، إذا قلت له: أفٍّ، وفيه ثلاثُ لغات: الكسرُ والضمُّ والفتح وهي كلمة تدل على الضجر والسخط[4].

2- ﴿ٱلۡقُرُونُ﴾ القرون جمع والقرن مفرد يقال هو على قرنه أَي: على سِنِّه والقَرُون: الفَرس الَّذِي يَعرَق سَرِيعا إِذا جَرَى وقالوا أن القرن مائة سنة[5].

3- ﴿وَيۡلَكَ﴾ الويل هي كلمة زجر ووعيد لمن أشرف على الهلاك والويل المشقة والعذاب وحُلولُ الشرّ، والوَيْلَةُ: الْفَضِيحَةُ والبَلِيَّة، ووَيْلٌ: وادٍ فِي جهنَّم، وَقِيلَ بابٌ مِنْ أَبوابها جهنم[6].

4- ﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ عذاب الهون أي عذاب الهوان، وهو الذل والصغار وهو عذاب النار[7].

5- ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع أسطورة وهي القصة وغلب إطلاقها على القصة الباطلة أو المكذوبة كمال يقال: خُرَافَةٌ[8].

---

(1)(شيئا) يسيئه ويقدح فيما يدعو إليه وقيل إنه قال له سنة هرقل وقيصر أي اتبعتم طريقتهما في إسناد الملك لأولاد المالكين وخالفتم سنة رسول الله ﷺوأصحابه من بعده إذ إنهم لم يفعلوا ذلك.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ والذي قال لوالديه، 133/6: رقم الحديث4827].

(3) [النسائي، السنن الكبري، التفسير/ الأحقاف، 257/10: رقم الحديث11427].

(4) الفراهيدي، العين(ج410/8).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة(ج84/9).

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج197/16).

(7) الشنقيطي، أضواء البيان(ج231/7).

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج39/26).

ثالثاً: القراءات

1- ﴿أُفٍّ﴾ قرأ المدنيان وحفص بكسر الفاء منونة، وقرأ يعقوب وابن عامر وابن كثير بفتحها من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين[1].

2- ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ قرأ هشام بإدغام النون الأولى في الثانية فينطق بنون مشددة مكسورة ويمد طويلا للساكنين، والباقون بنونين خفيفتين، وفتح ياء الإضافة المدنيان والمكي وأسكنها غيرهم[2].

3- ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ قرأ ابن كثير وهشام وعاصم والبصريان بالياء التحتية، والباقون بالنون[3].

4- ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ قرأ ابن كثير آذهبتم بهمزة واحدة مطولة، وقرأ ابن عامر أأذهبتم بهمزتين الأولى ألف التوبيخ بلفظ الاستفهام والثانية ألف قطع، وقرأ الباقون أذهبتم على لفظ الخبر[4].

رابعاً: المعنى الإجمالي

يخبر الله تعالى عن أخبث إنسان هو ذاك الملحد العاق لوالديه المنكر للبعث والجزاء، إذ قال لوالديه أمه وأبيه: أف لكما، أي نتناً وقبحا لكما، أتعداننني بأن أخرج من قبري حياً بعدما أموت، وقد مضت أمم وشعوب قبلي، وما خرج منها أحد من قبره، فكيف تعداننني أنتما، ووالداه يستغيثان الله طلباً في إغاثتهما بهداية ولدهما الملحد، فينكر والدهما بأن ما يقولن من البعث والجزاء ما هي إلا كذب الأقدمون، وأخبر تعالى أن هؤلاء الذين من صنف هذا العاق لوالديه، كتبنا عليهم العذاب في جملة أمم سبقتهم في الإلحاد والكفر من العالمين، عالم الجن وعالم الإنس، ويخبر الله تعالى أن لكل من المؤمنين البارين والكافرين العاقين درجات مما عملوا من خير أو شر، إلا أن درجات المؤمنين في الجنة تذهب في علو متزايد، ودركات الكافرين في النار تذهب في سفل متزايد إلى أسفل سافلين، ويقول تعالى: أن هؤلاء الكافرين يعرضون على النار فيقال لهم: أذهبتم وضيعتم طيباتكم بإقبالكم على الشهوات والملذات، ناسين الدار الآخرة

---

(1) ابن الجزري، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ج318/1).

(2) المرجع السابق، ص318.

(3) المرجع نفسه، ص318.

(4) ابن زنجله، حجة القراءات(ج665/1).

فاستمتعتم بكل الطيبات، ولم تبقوا للآخرة شيئا، فاليوم تجزون الهوان والذل والعذاب، بسبب كفركم واستكباركم في الأرض وأعمالكم الفاسقة[1].

خامساً: المناسبة

لما ذكر الله تعالى الرجل المؤمن وأعماله الصالحة ومواقفه المشرفة، ذكر هنا الرجل الكافر وأعماله الباطلة ومواقفه السيئة وذلك من باب الدعوة إليه تعالى للترغيب والترهيب[2].

سادساً: وجوه البلاغة

1- قوله تعالى:﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ الغرض من الاستفهام إِنْكَارٌ وَتَعَجُّبٌ[3].

2- قوله تعالى:﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ فيها استعارة، استعار عن المراتب بالدرجات[4].

3- قوله تعالى:﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ﴾ إيجاز بالحذف مع التقريع والتوبيخ، أي يقال لهم: أَذْهَبْتُمْ[5].

4- استعارة في قوله تعالى:﴿ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ ﴾ لمفارقتها كما أن إذهاب المرء إبعاد له عن مكان له، والذهاب: المُبارحة، أى برح موقعه.

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- حرم الله تعالى عقوق الوالدين وجعلها من الكبائر، وربط رضا الوالدين برضاه وعقوقهما بعقوق الله.

2- هذه الآيات وصف لأبناء من المشركين، أسلم آباؤهم ودعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم وأغلظوا لهم القول فضموا إلى الكفر بشنيع عقوق الوالدين، وهو قبيح لمنافاته الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو الذي عليه جمهور المفسرين[6].

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج58/5).
(2) المرجع السابق، ص58.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج38/26).
(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج40/26).
(5) المرجع السابق، ص40.
(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج37/26).

3- إن عاطفة الأبوين الصادقة المتأججة تدفعهما إلى الاستغاثة باللَّه وسؤاله ودعائه بالهداية لولدهما الكافر منكر البعث، أو الاستغاثة بالله من كفره، وهما يقولان له: ويلك آمن، أي صدّق بالبعث، إن وعد اللَّه صدق لا خلف فيه، والمراد بالدعاء عليه الحثّ والتحريض على الإيمان، لا حقيقة الهلاك[1].

4- المراد بالطيبات في الآيات السابقة هي الملذات وما كانوا فيه من المعايش والطيبات، والمعنى أنهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه وتعالى، ولم يبالوا بالذنب تكذيباً منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب[2].

5- السبب في عذاب الهون (أي عذاب الهوان وهي النار) أمران: التكبر عن اتباع الحق، والعمل بمعاصي الله سبحانه وتعالى، وهذا شأن الكفرة فإنهم قد جمعوا بينهما[3].

6- لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس العاقين والبارين مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فدرجات أهل النار تذهب سَفَالًا، ودرجات أهل الجنة عُلُوًّا[4].

7- فهم السلف الصالح لقوله تعالى: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم﴾ فهماً صحيحاً، فقد كانوا يتورعون ويزهدون في الدنيا أشد الزهد، وما عاشوا يوماً للدنيا بل كانوا عابري سبيل.

8- نلاحظ أن كلمة الفسوق هي التي انتهى بها المقطع الأول والثاني، ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ ، مما يشير إلى أن من المواضيع الرئيسية للسورة موضوع الفسوق عن أمر الله[5].

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج46/26).

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج26/5).

(3) المرجع السابق، ص26.

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج199/16).

(5) حوى، الاساس في التفسير (ج5217/9).

المطلب الثالث: عقوبة قوم عاد

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ ﴾ [الأحقاف].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿عَادٍ﴾ هي قبيلة عربية من إرم، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن، وقيل بين عمان ومهرة[1].

2- ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ هو الْمُعْوَجُّ من الرمل والجمع (حِقَافٌ) وَ(أَحْقَافٌ) وهي ديار قوم عاد[2].

3- ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ الانذار: هو الابلاغ، ولا يكون إلا في التخويف، والاسم النُذَرُ، والنذير أي المنذر[3].

4- ﴿لِتَأۡفِكَنَا﴾ الْإِفْكُ: الْكَذِبُ ورجل (أَفَّاكٌ) أَيْ كَذَّابٌ، تأفكنا أي تصرفنا (الْمُؤْتَفِكَاتُ) المدن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط[4].

5- ﴿عَارِضٞ﴾ العارض: هو ما يعترض الإنسان، والْعَارِضُ من كل شيء ما يَسْتَقْبِلُكَ، كَالْعَارِضِ من السحاب ونحوه ويقولون: مر بي عارضٌ من جَرَاد، إذا ملأ الأفق[5].

---

(1) انظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب(ج462/1)

(2) الرازي، مختار الصحاح(ج77/1).

(3) الجوهري، الصحاح (ج825/2).

(4) الرازي، مختار الصحاح(ج19/1).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج277/4).

ثانياً: القراءات

1- ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ قرأ يعقوب وحمزة وعاصم وخلف، يُرى بياءٍ مضمومة على الغيب مساكنهم بالرفع، وقرأ الباقون بالتاء وفتحها على الخِطَاب، ونصب مساكِنُهُم، وهم في الإمالة على أصولهم[1].

2- ﴿وَأُبَلِّغُكُمۡ﴾ قرأ أبو عمرو بإسكان الباء وتخفيف اللام، وغيره بفتح الباء وتشديد اللام[2].

3- ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ فتح الياء أبو جعفر ونافع من وأبو عمرو[3].

4- ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ﴾ فتح الياء المدنيان والبزي والبصري، وأسكنها غيرهم[4].

ثالثاً: المعنى الإجمالي

يأمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بأن يذكر لقومه قصة قوم عاد للعبرة والاتعاظ، وأَخَا عَادٍ هو هود عليه السلام والأخوة هنا أخوة نسب لا دين، إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ إذ خوفهم عذاب الله إن لم يتوبوا إلى الله ويوحدوه، والأحقاف وادي القوم الذي به مزارعهم ومنازلهم وهو ما بين حضرموت ومهرة وعُمان جنوب الجزيرة العربية، فقد أرسلت الرسل من قبله ومن بعده في أممهم، فلم يكن هود أول نذير، ولا أمته أول أمة أنذرت العذاب كل رسول أنذر أمته عاقبة الشرك فأمرهم أن لا يعبدوا إلا الله، وهي التي دعا إليها محمد ﷺ أمته ، فقد خاف عليهم سيدنا هود من العذاب، ولكن كان رد القوم أجئتنا تصرفنا عن عبادة آلهتنا فأرنا من العذاب فيما توعدنا به وتهددنا، فأجابهم هود عليه السلام أن علم مجيء العذاب وتحديد وقته هذا ليس لي وإنما هو لله منزله، فمهمتي أن أنذركم العذاب قبل حلوله بكم وأبلغكم ما أرسلت به إليكم من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والمعاصي، ثم بين الله تعالى حالهم لما رأى قوم هود العذاب متجها نحو أوديتهم التي بها مزارعهم ومنازلهم قالوا هذا سحاب خير ومطر فرد الله عليهم بأن هذا هو العذاب الذي استعجلتم به يدمر كل ما أمامه، وهذا جزاء الظالمين[5].

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءت العشر (ج373/2).

(2) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ج296/1).

(3) النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر (ص407).

(4) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ج319/1).

(5) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج60/5).

رابعاً: المناسبة

بعد بيان أدلة التوحيد والنبوة التي أعرض عنها أهل مكة، بسبب استغراقهم في لذات الدنيا واشتغالهم بطلبها، ذكر اللَّه تعالى قصة قوم عاد للعظة والتذكر والعبرة، فقد أهلكهم اللَّه تعالى بسبب كفرهم، مع أنهم كانوا أكثر أموالا وقوة وجاها من مشركي مكة، ليعتبروا بذلك، ويتركوا الإغترار بالدنيا، ويُقبلوا على طلب الدين، فإن ضرب الأمثال الواقعية يستدعي عمق التأمل، وتغيير المواقف، وفيه تسلية للنبي ﷺ في تكذيب قومه له[1].

خامساً: وجوه البلاغة

1- قوله تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ وعبر عنه هنا بوصفه دون اسمه العلم، لأن المراد بالذكر هنا ذكر التمثيل والموعظة لقريش بأنهم أمثال عاد في الإعراض عن دعوة رسول من أمتهم[2].

2- قوله تعالى:﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ وصف اليوم بالعِظَم باعتبار ما يحدث فيه من الأحداث العظيمة، فالوصف مجاز عقلي[3].

3- قوله تعالى:﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ إسناد الإتيان بالعذاب إليه مجاز لأنه الواسطة في إتيان العذاب أن يدعو الله أن يعجله، أو جعلوا العذاب في مكنتِهِ يأتي به متى أراد، تهكماً به إذ قال لهم إنه مرسل من الله فجعلوا ذلك مقتضياً أن بينه وبين الله تعاوناً وتطاوعاً[4].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- نلاحظ أن السورة أمرت رسول الله ﷺ أن يقول وأن يذكّر وأن يصبر، فالقول فيه الحجة العقلية، والتذكير فيه الإثارة العاطفية، والصبر لا بد منه لقطف ثمرات الأجر[5].

2- سيقت قصة هود وقومه مساق الموعظة للمشركين الذين كذبوا بالقرآن كما أخبر الله عنهم من أول هذه السورة في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾ [الأَحْقَاف:3] مع ما أعقبت به من الحجج[6].

---

(1) انظر: الزحيلى، التفسير المنير(ج51/26).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج45/26).

(3) المرجع السابق، ص46.

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج45/26).

(5) انظر: حوى، الاساس في التفسير(ج5217/9).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج44/26).

3- النبي ﷺ مجرد مبلّغ رسالة ربه، فلا يعلم الغيب، لذا قال هود لهم: إنما العلم بوقت مجيء العذاب عند اللَّه، لا عندي، وما شأني إلا أن أبلغكم ما أرسلت به عن ربكم إليكم، وأراكم قوما تجهلون في سؤالكم استعجال العذاب.

4- الريح جند من جنود الله وهي مما يشهد لعظم قدرته، لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده، وهي مأمورة من الله [1].

5- الرياح إما نعمة أو نقمة أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت:(ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً، حتى أرى من لَهَوَاته،[2] إنما كان يبتسم، قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً، عُرف ذلك في وجهه، فقالت يا رسول الله أرى الناس، إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عَرَفتُ في وجهك الكراهية؟ قالت فقال: يا عائشة ما يُؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قومٌ بالريح، وقد رأوا العذاب فقالوا ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: 24])[3].

6- إن وسائل التعذيب الربانية يضعف ويصغر أمامها كل الناس سواء أكانوا عتاة طغاة أشداء أم دون ذلك، ولقد أنذر اللَّه بهذا العقاب أهل مكة وخوّفهم، وأبان لهم أنه أهلك من هو أشد منهم قوة، وأكثر أموالاً وأولاداً، وآثارًا حضارية وعمرانية في الأرض[4].

7- لم يعذب اللَّه قوما بعذاب الاستئصال إلا بعد أن طغوا وبغوا واستكبروا في الأرض بغير الحق، وعطلوا طاقات المعرفة والهدى، ووسائل التفكير والنظر والتأمل، وإذ عطلوها لم تنفعهم شيئا من عذاب اللَّه، لأنهم كانوا يجحدون بآيات اللَّه، ويكفرون بها، فأحاط بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الإلهي الذي أنذروا به.

8- إن عدل اللَّه مطلق، فإنه تعالى لم يهلك أولئك الأقوام إلا بعد أن أقام لهم الحجج والدلالات، وأنواع البينات والعظات ليرجعوا عن كفرهم، فلم يفعلوا، وأصروا على الكفر والعناد[5].

---

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف(ج308/4).

(2) (لهواته) اللهوات جمع لهاة وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أعلى الحنك.

(3) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة الاستسقاء/التعوذ عند رؤية الريح، 616/2: رقم الحديث899].

(4) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(54/26).

(5) المرجع السابق ص 54.

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة الأحقاف من الآية(26_35)

المطلب الأول: إيمان الجن بالقرآن وتصديقهم له

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾[الأحقاف: 26-32].

أولاً: معاني المفردات

1-﴿يَجۡحَدُونَ﴾ جحد يجحد، جُحودًا، فهو جاحِد، جحَد الحقَّ أنكره مع علمه به، ورجل جحد: فَقير وعام جحد: قَليل المطر[1].

2-﴿وَصَرَّفۡنَا﴾ صرف الْأَمر دَبَّره وَوَجهَهُ، صرفنا إليك أملنا إليك، ويقال صرف الله الرياح أي وجهها[2].

3-﴿وَحَاقَ﴾ حيق الحاء والياء والقاف كلمة واحدة، وهو نزول الشيء بالشيء، حاق به الشيء يحيق، أي أحاط به وحاق بهم العذاب، أي أحاط بهم ونزل[3].

---

(1) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة(ج346/1).
(2) مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ج513/1).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج125/2).

4-﴿قُرۡبَانٗا﴾ القرب ضد البعد، والاقتِراب الدنو، والتَقَرُّب: التدني والتواصل بحق أو قَرابةٍ والقُرابُ: مُقاربةُ الشيء، تقول: معه ألف درهم أو قُرابُ ذلك، وهذا قُرْبانٌ من قَرابينِ الملك أي وزير[1].

ثالثاً: المعنى الإجمالي

يبين الله تعالى تمكينه لقوم عاد في الأرض، فأعطاهم من مظاهر القوة المادية ما أعطاه لكفار قريش، وجعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة أي قلوباً، فلم تغن عنهم هذه القوة ولا هذا السلطان من دفع عذاب الله عنهم و نزل بهم العذاب الذي كانوا إذا خوفوا به وأنذروا استهزأوا وسخروا، وذكر الله لهم قصص ما حولهم من القرى كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، وكرر الحجج وضرب الأمثال، ونوع العظات والعبر لعلهم يرجعون إلى الحق الذي انصرفوا عنه وهو التوحيد والاستقامة، فأبوا إلا الإصرار على الشرك والباطل فأهلكهم، ثم بين الله تعالى أن الذين اتخذوهم من دون الله قرباناً آلهة يتقربون بها إلى الله في زعمهم، ما نصروهم بل ضلوا عنهم أي غابوا فلم يعثروا عليهم بالكلية، وهذا الذي تم لهم من الخذلان والعذاب هو إفكهم أي كذبهم وافتراؤهم الذي كانوا يعيشون عليه قبل هلاكهم، ثم يقول الله تعالى لنبيه اذكر لقومك من كفار مكة وغيرها معجزة من المعجزات التي أيدناك بها، وهي استماع الجن لك عند قراءتك القرآن، فكان موقف الجن عندما رجعوا إلى قومهم من الجن منذرين إياهم أي مخوفينهم من عذاب الله إذا استمروا على الشرك، وقالوا لقومهم أجيبوا داعي الله وهو محمد رسول الله ﷺ، أجيبوه إلى ما يدعو إليه من توحيد الله وطاعته وآمنوا بعموم رسالته بكل ما جاء به من الهدى ودين الحق فيجزيكم ربكم خير الجزاء ويجركم عذاب أليم[2]

ثالثاً: المناسبة

بعد أن بيّن اللَّه تعالى أن في الإنس من آمن، وفيهم من كفر، أردفه هنا ببيان أن الجن أيضا فيهم من آمن وفيهم من كفر، وأن مؤمنهم معرّض للثواب، وكافرهم معرّض للعقاب، وأن الرسول ﷺ مرسل إلى الإنس والجن معا، والملائكة والجن عالمان غيبيان غير مرئيين، يجب أن يؤمن المسلم بهما، كما يجب أن يؤمن بأن النبي ﷺ تلقى الوحي من طريق الملائكة، وأنه بلّغ

(1) الفراهيدي، العين(ج153/5).

(2) الجزائري، أيسر التفاسير(ج63/5).

رسالته إلى الجن فبشّرهم وأنذرهم، أما كيفية التلقي والتبليغ فغير معروفة لدينا إلا بطريق الأخبار الدينية السمعية النقلية، ولا مجال للعقل في ذلك[1].

رابعاً: وجوه البلاغة

1- قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ ثم قال﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم﴾ من قبيل الإطناب بتكرار اللفظ لزيادة التقبيح عليهم[2].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- أن الإعراض عن دين الله والإصرار على الفسق عن أمر الله، والاستمرار على الخروج على طاعته إذ استوجب صاحبه العذاب ونزل به لم يغن عنه ذكاؤه ولا دهاؤه ولا علمه وحضارته ولا علوه وتطاوله[3].

2- دعوة النبي ﷺ غير مختصة بالإنس فقط فقد لقي النبي ﷺ الجن وقرأ عليهم القرآن حقيقة حيث روى الإمام أحمد بسنده عن عَلْقَمة قال: (قلت لابن مسعودﷺ هل صحبَ رسولَ الله ﷺ ليلةَ الجنّ منكم أحدٌ، فقال: ما صحبه منَّا أحد، ولكنَّا قد فقدناه ذاتَ ليلة، فقلنا: اغْتِيلَ، اسْتُطير، ما فعل، قال: فبتْنا بشَرّ ليلةٍ باتَ بها قوم، فلما كان في وجه الصبح، أو قال: في السَّحَر، إذاَ نحن به يجيء من قِبَلِ حِراء، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه)[4].

3- إن المقصود من الآيات توبيخ مشركي قريش على عدم إيمانهم، فإن الجن سمعوا القرآن، فآمنوا به، وعلموا أنه من عند اللَّه، فما بالكم أيها المشركون وأمثالكم تعرضون وتصرون على الكفر، وهناك قصد آخر وهو تسلية النبي ﷺ [5] عما يلقاه من صدود قومه عنه.

4- والافتراء: نوع من الكذب وهو ابتكار الأخبار الكاذبة، ويرادف الاختلاق لأنه مشتق من فَرِي الجلد[6].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير(ج60/26).
(2) المرجع السابق، ص50.
(3) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج78/4).
(4) [أحمد: مسند أحمد 214/7: رقم الحديث 4149].
(5) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3269/6).
(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج56/26).

5- كان أدب الجن عظيما حين سماعهم القرآن، فينبغي التأسي بهم، فإنهم لما حضروا القرآن واستماعه أو حضروا النبي ﷺ، قال بعضهم لبعض: اسكتوا لاستماع القرآن، فلما فرغ النبي ﷺ من تلاوة القرآن، انصرفوا قاصدين من وراءهم من قومهم من الجنّ، منذرين لهم مخالفة القرآن، ومحذّرين إياهم بأس اللّه إن لم يؤمنوا.

6- أن استماع الجن للنبي هو تأييد للنبي ﷺ بأن سخر الله الجن للإيمان به وبالقرآن، فكان رسول الله ﷺ مصدقاً عند التلقين، ومعظماً في العالمين، وذلك ما لم يحصل لرسول قبله[1].

7- إن ذكر القرآن لحادث صرف نفر من الجن ليستمعوا القرآن من النبيﷺ وحكاية ما قالوا وما فعلوا، هذا وحده كاف بذاته لتقرير وجود الجن، ولتقرير وقوع الحادث، ولتقرير أن الجن هؤلاء يستطيعون أن يسمعوا للقرآن بلفظه العربي المنطوق، كما يلفظه رسول الله ﷺ ولتقرير أن الجن خلق قابلون للإيمان وللكفران، مستعدون للهدى وللضلال[2].

8- في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ دلت الآيات أن الجن نذر وليس فيهم رسل، ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ﴾ [يوسف: 109]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى﴾[الفرقان: 20] [3].

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج57/26).
(2) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج3270/6).
(3) حوى، الاساس في التفسير(ج5286/9).

المطلب الثاني: آيات وقدرة الله تعالى

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأحقاف].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿وَلَمْ يَعْيَ﴾ ولم يتعب ولم يعجز [1].

2- ﴿يُعْرَضُ﴾ عرض: عَرُضَ الشيء أي أظهره، والعَرْضُ خلاف الطول، وفلان يَعْرِضُ علينا المتاع عَرْضاً للبيع، وعَرَضْتُ الجند عرض العين أي: أمررتهم علي لأنظَرَ ما حالهم[2].

3- ﴿أُولُوا الْعَزْمِ﴾ أولوا الجد والثبات والصبر وهم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ [3].

4- ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ (لَبِثَ) اللام والباء والتاء حرف يدل على المكوث والجلوس، يقال: لبث بالمكان أي استقر فيه[4].

5- ﴿بَلَاغٌ﴾ وبَلَغَ الشيءُ يبلُغُ بُلُوغاً، وأَبْلَغْتُه إبلاغاً، وبلَّغْتُه تبليغاً في الرسالة ونحوها، وفي كذا بلاغٌ وتَبَليغٌ أي كفاية، وشيء بالغٌ أي جيد، والمُبالَغَةُ: أن تَبْلُغَ من العمل جهدك[5].

---

(1) أبو البقاء الحنفي، الكليات(ج990/1).
(2) الفراهيدي، العين(ج271/1).
(3) النحاس، معاني القرآن(ج455/6).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج228/5).
(5) الفراهيدي، سبق ذكره(ج421/4).

ثانياً: القراءات

1- قوله تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ قرأ يعقوب بياء مثناة تحتية مفتوحة وسكون القاف بعدها مع ضم الراء من غير تنوين على أنه فعل مضارع، والباقون بباء موحدة مكسورة وفتح القاف وألف بعدها مع كسر الراء منونة على أنه اسم فاعل[1].

ثالثاً: المعنى الإجمالي

يفتتح السياق القرآن مجالاً أخر للمشركين في التفكير وهو بقوله: ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض بالحق، ولم يتعب لذلك أصلا، بأنه تعالى قادرُ على أن يحيً الموتى نعم هو قادر على ذلك، بل هو أهون عليه، إذ هو على كل شيء قدير، ويقال للذين كفروا يوم يعرضون على النار ويعذبون بها، يقال لهم توبيخا وتهكما: أليس هذا العذاب الذي ترونه وتلمسونه حقّا لا شك فيه؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق وعدل، قال الله لهم مشافهة أو على لسان الملائكة: إذا كان الأمر كذلك فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكفرون إذا كان الأمر كما علمت، ثم يقول الله تعالى لنبيه: فاصبر يا محمد كما صبر إخوانك من المرسلين، اصبر على أذى المشركين، إنا كفيناك المستهزئين، وعصمناك من كيد الظالمين، ولا تستعجل لقومك عذابهم، فإنه آت لا محالة وكل آت قريب، كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب يوم القيامة لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة يسيرة من النهار، كأنهم حين يشاهدون العذاب الشديد وطول مدته يرون أنهم لم يلبثوا إلا مدة من الزمن يسيرة، هذا الذي وعظتم به أيها الناس كفاية في الموعظة وبلاغ كامل للناس فهل يهلك بعد ذلك إلا القوم الفاسقون، القوم الخارجون عن الاتعاظ والطاعة [2].

رابعاً: المناسبة

بعد إثبات وجود الإله القادر الحكيم المختار في أول السورة، وإبطال قول عبدة الأصنام، وإثبات النبوة، ومناقشة المشركين في عقائدهم الباطلة ورد شبهاتهم، وتوبيخهم على عدم إيمانهم مع أن الجن آمنوا بالقرآن، بعد هذا أثبت اللَّه تعالى مسألة المعاد، لأن المشركين كانوا ينكرونها، فتكون أغراض السورة المكية قد تحققت، وهي إثبات التوحيد والنبوة والبعث، ثم ذكر بعض أحوال الكفار في الآخرة، ثم سلّى اللَّه نبيه ﷺ بأمره بالصبر في دعوته، كصبر الأنبياء

(1) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص320).
(2) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج3/455).

أولي العزم قبله، لتبليغ ما أمروا بأدائه، وعدم استعجال العذاب لهم، وذلك تعليم لنا ودرس وعظة بليغة[1].

خامساً: وجوه البلاغة

1- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الرؤية هنا هي الرؤية القلبية بمعنى العلم[2].

2- ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ كلمة من للتبيين لا للتبعيض[3].

3- ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ إشارة إلى العذاب، بدليل قوله تعالى:﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ والمعنى: التهكم بهم، والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، وقولهم وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ[4].

4- ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَهُمْ بِذَوْقِ الْعَذَابِ تَوْبِيخٌ بَالِغٌ وَتَهَكُّمٌ عَظِيمٌ[5].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- دلت الآيات على أن الله تعالى قادرٌ على البعث، لأنه خلق السموات والأرض، ولا شك أن خلقها أعظم من إعادة الشخص حيا بعد أن صار ميتا، والقادر على الأقوى الأكمل، لا بد من أن يكون قادرا على الأقل والأضعف [6].

2- اتبعت الآيات الإقناع العقلي، والتفكير المنطقي حيث أن الله تعالى الذي خلق السموات والأرض على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما من دون أن يكترث بذلك ولم يعي بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير[7].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير(ج69/26).
(2) الشوكاني، فتح القدير(ج32/5).
(3) الزحيلي، التفسير المنير(ج73/26).
(4) الزمخشري، الكشاف(ج313/4).
(5) الشوكاني، فتح القدير(ج32/5).
(6) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج73/26).
(7) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن(ص783).

3- أمر اللَّه تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بالصبر في تبليغ الدعوة ومشاق الحياة، كصبر أصحاب الشرائع الكبرى: وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام[1].

4- يجب على المسلم أن يتصف بالعزم والعزم: نية محققة على عمل أو قول دون تردد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمرَان: 159] [2].

5- طريق هذه الدعوة طريق مرير، حتى لتحتاج نفس كنفس محمد ﷺ في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها، وفي صفائها وشفافيتها. تحتاج إلى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين. نعم؛ وإن مشقة هذا الطريق لتحتاج إلى مواساة، وإن صعوبته لتحتاج إلى صبر، وإن مرارته لتحتاج إلى جرعة حلوة من رحيق العطف الإلهي المختوم[3].

6- توضح الآيات إن أجل الدنيا قصير، والآخرة خالدة دائمة، ويحسب الكفار حين يرون أهوال عذاب الآخرة أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا مقدار ساعة من ساعات النهار.

7- في القرآن والسنة البلاغ والكفاية في إنذار الناس من العذاب، وتحذيرهم من العقاب بسبب الكفر والعصيان[4].

8- وأعقب الله تعالى أمره بالصبر على المشركين بنهيه عن الاستعجال لهم بالعذاب، وذلك لأن الاستعجال ينافي العزم، ولأن تأخير العذاب تطويلاً لمدة صبر الرسول ﷺ بكسب عزمه قوة، وكذلك لإقامة الحجة عليهم[5].

9- اختلف العلماء في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها: أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمدﷺ قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون **(من)** في قوله (من الرسل) لبيان الجنس والله أعلم[6].

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج32/5).
(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج67/26).
(3) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3276/6).
(4) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج74/26).
(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج67/26).
(6) انظر: حوى، الاساس في التفسير(ج5287/9).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة محمد

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة محمد

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(1-13)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(14-23)

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(24-38)

المبحث الأول

تعريف عام بسورة محمد ﷺ

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها

أولاً: أسماء السورة

1- الاسم التوقيفي الذي ورد لهذه السورة هو(سورة محمد)، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور حيث يقول: "سميت هذه السورة في كتب السنة سورة محمد، وكذلك ترجمت في صحيح البخاري بسورة محمد[1] وكذلك وردت في كتب التفاسير"[2] .

2- ومن الأسماء الاجتهادية لهذه السورة أنها

أ- أنها تسمى سورة القتال[3] وهذا ما عنونه ابن كثير في تفسيره حيث سماها بسورة القتال[4] وقال ابن عباسﷺ(نزلت سورة القتال بالمدينة)[5] .

ب- وكذلك تسمى سورة الذين كفروا حيث أخرج ابن مردويه عن ابن الزبيرﷺ قَالَ:(نزلت في المدنية سورة الذين كفروا) [6].

3- ويرى الباحث أن وجه المناسبة والارتباط بين أسم السورة التوقيفي وأسمائها الأجتهادية واضح وظاهر وذلك من خلال أن النبي ﷺ القدوة هو المجاهد والمقاتل في سبيل الله الذي يجاهد الكفار والمنافقين.

ثانياً: وجه تسميتها

سميت سورة محمد، بهذا الاسم لورود ذكر اسم النبي محمد ﷺ، ولم يذُكر النبي ﷺ باسمه في القرآن إلا أربع مرات، في سورة آل عمران قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[آل عمران: 144] وفي سورة الأحزاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] وهنا في

---

(1) البخاري، صحيح البخاري(ج134/6).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج71/26).
(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج75/26).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج306/7).
(5) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور(ج456/7).
(6) المرجع السابق، ص456.

هذه السورة، وفي سورة الفتح قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:29]، وأما في غير هذه المواضع الأربعة فيذكر بصفة الرسول أو النبي، وأما تسميتها سورة القتال فلأنها ذكرت فيها مشروعية القتال، ولأنها ذُكر فيها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَذُكِرَ فِيهَا﴾، مع ما سيأتي أن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ ﴾[مُحَمَّد: 20] أن المعني بها هذه السورة فتكون تسميتها سورة القتال تسمية قرآنية [1].

ثالثاً: عدد آياتها

هذه السورة من السور المختلف في عدد آياتها عند جمهور العلماء، فعدها الكوفيون ثمان وثلاثون آية، وتسع وثلاثون في المدنيين والمكي والشامي، وأربعون آية في البصرى، اختلافها في آيتين:

1- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ﴾ لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

2- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ عدها البصري، ولم يعدها الباقون[2].

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها

أولاً: مكان وزمان نزول السورة

وفيها قولان

1- أنها مدنية قاله الأكثرون منهم مجاهد ومقاتل[3] وحكي عن ابن عباسﷺ وقتادة [4]أنها مدنية : إلَّا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج النبي ﷺ من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه، فنزل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ ﴾ [محمد 13][5].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير(ج71/26).

(2) انظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الأهداف والسور(ج486/2).

(3)مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، أبو الحسن: من أعلام المفسرين، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها، وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث من كتبه (نوادر التفسير) انظر: الزركلي، الأعلام(ج281/7).

(4)قتادة بن النعمان ابن زيد بن عامر، أبو عمر الأنصاري، البدري من نجباء الصحابة، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأُمِّهِ وكان من الرماة المعدودين، عاش خمساً وستون سنةَ، وتوفي سنة ثلاث وعشرون بالمدينة انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج11/4).

(5) ابن الجوزي، زاد الميسر(ج115/4).

2- أنها مكية قاله الضحاك[1] والسدي[2] وكذلك قال القرطبي أنها مكية[3] وَلَعَلَّه وهم ناشئ عما روي عن ابن عباس ﷺ أَنَّ قَالَتَعَالَى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ﴾ [مُحَمَّد: 13] نزلت في طريق مكة قبل الوصول إلى حراء أي: في الهجرة .

3- ويرى الباحث أن السورة مدنية وذلك لصحيح الآثار الواردة عن الصحابة والسلف في ذلك، وكذلك لا مانع من وجود آيات مكية في سور مدنية باعتبار زمن النزول.

ثانياً: ترتيبها

في ترتيب نزول هذه السورة ذكر العلماء أنها نزلت بعد يوم بدر، وقيل إنها نزلت في غزوة أحد، وعدت السادسة والتسعين في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحديد وقبل سورة الرعد[4] .

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها

أولاً: فضائل السورة

من فضائل هذه السورة أنه ذكر فيها الاستغفار، فهي من أعظم العبادات القولية عند الله تعالى، حيث روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة ﷺ **قَالَتَعَالَى:﴿عندما وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾** فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً)[5] وكذلك روى عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ كان يقرأ بهم في صلاة المغرب **قَالَتَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ ﴾**[6].

---

(1) الضحاك بن سفيان بن عوف، أبو سعيد ، صحابي كان نازلا بنجد، وولاه رسول الله ﷺعلى من أسلم هناك من قومه، ثم اتخذه سيافا، فكان يقوم على رأس النبي ﷺ متوشحا بسيفه. وكانوا يعدونه بمئة فارس قيل: استشهد في قتال أهل الردة من بني سُليم. انظر: الزركلي الأعلام(ج214/3).

(2) السُّدِّي: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة: (صاحب التفسير والمغازي والسير)، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس انظر: الزركلي الأعلام(ج317/1).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج223/16).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج71/26).

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، تفسير القرآن/سورة محمد،236/5: رقم الحديث 3259].

(6)[ابن حبان: صحيح ابن حبان، صفة الصلاة/القراءة في صلاة المغرب،143/5: رقم الحديث1835] صححه الألباني.

ثانياً: جو نزولها

نزلت هذه السورة بأجواء التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد، افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين لأنهم كفروا بالله وصدوا عن سبيله، وأعلم الله المؤمنين بأنه لا يسدد المشركين في أعمالهم وأنه مصلح المؤمنين، فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم، ثم أمر الله تعالى بقتالهم وعدم الإبقاء عليهم، ووعد المجاهدين بالجنة، ووصف الجنة ونعيمها، ووصف جهنم وعذابها ووصف المنافقين وحال اندهاشهم إذا نزلت سورة فيها الحض على القتال، وقلة تدبرهم القرآن وموالاتهم المشركين، وتهديد المنافقين بأن الله ينبئ رسوله ﷺ بسيماهم وتحذير المسلمين من أن يروج عليهم نفاق المنافقين، وختمت بالإشارة إلى وعد المسلمين بنوال السلطان وحذرهم إن صار إليهم الأمر من الفساد والقطيعة[1] .

المطلب الرابع: مناسبة سورة محمد لما قبلها وما بعدها من السور

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها(سورة الأحقاف)

ختمت سورة الأحقاف: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ وبدأت سورة (محمد) بعدها بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ ﴾ فكان هذا البدء كما ترى أشبه بالوصف الكاشف عن القوم الفاسقين، فهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، الذين أضل الله أعمالهم فالسورتان، أشبه بسورة واحدة، في تجاوب آياتها والتحام معانيها[2] .

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها(سورة الفتح) [3]

ارتباط هذه السورة بسورة الفتح واضح من جهات:

1- أن الفتح المراد به النصر مرتب على القتال.

2- أن في كل منهما ذكرا للمؤمنين والمخلصين والمنافقين المشركين.

3- أن في السورة السالفة أمرا بالاستغفار، وفى هذه ذكر وقوع المغفرة.

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج61/26).

(2) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن(ج303/13).

(3) المراغي، تفسير المراغي(ج80/26).

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة

الموضوع الأساسي لهذه السورة يتحدث عن القتال في سبيل الله وأحكام الجهاد قبل وأثناء وبعد المعركة، لا سيما أحكام والأسرى والغنائم فالقتال هو العنصر البارز فيها، والقتال في صورها وظلالها، والقتال في جرسها وإيقاعها، القتال موضوعها، فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إيحاء بأن الله عدو للأولين وليّ للآخرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه وتعالى، فهو إذن إعلان حرب من الله تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة [1] .

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة

1- قسم الله تعالى الناس إلى فريقين أهل الكفر الذين صدوا الناس عن سبيل الله، وهؤلاء يبطل أعمالهم سواء كانت حسنة أو سيئة وأهل الإيمان بالله ورسوله الذين أصلحوا أعمالهم، وأولئك يغفر الله لهم سيئات أعمالهم ويوفقهم في الدين والدنيا[2] .

2- أمر الله بجهاد الكفار، قال العلماء: الكفار هم المشركين عبدة الأوثان[3] ، وقيل: كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة[4]، ذكره الماوردي[5]، واختاره ابن العربي[6] ، وقال: وهو الصحيح لعموم الآية فيه[7] .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3278/6).

(2) انظر: المراغي، تفسير المراغي(ج44/26).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج225/16).

(4) انظر: الماوردي، النكت والعيون(ج293/5).

(5)علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جُعل أقضى القضاة في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافا، نسبته إلى بيع ماء الورد، من كتبه الأحكام السلطانية، والنكت والعيون ووفاته ببغداد. انظر: الزركلي، الأعلام(ج327/4).

(6)محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ أحكام القرآن، وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. انظر: الزركلي، الأعلام(ج230/6).

(7) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن(ج129/4).

3- تعرض الآيات حقيقة عن حياة الشهداء وهي أن الله تعالى يتعهدهم بالهداية بعد الاستشهاد ويتعهدهم بإصلاح البال، وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض ويزيدها صفاء لتتناسق مع صفاء الملأ الأعلى الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه، فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع[1] .

4- بين الله تعالى أن أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة ولا تشفع له وقد يثاب عليها في الدنيا فيبارك له في ماله وولده، ولكن في الآخرة يحاسب عما قدم في الدنيا [2] .

5- لما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها[3] .

6- خلق الله السموات والأرض بالحق وعلى قوانين منظمة، فكل ما قرب من الحق كان باقيا، وكل ما ابتعد عنه كان هالكا، فرجال الجدّ والنشاط مؤيدون، ورجال الكسل والتواكل مخذولون[4] .

7- وعد الله المؤمنين بالنصر متى نصروه، وتوعد الكافرين بالتعاسة والخيبة، ووبخهم على عدم اعتبارهم واتعاظهم، كما بشر المؤمنين أيضا بجنة فيها ما فيها من نعيم[5] .

8- كشفت الآيات عن أحوال المنافقين وأوصافهم بصورة تميزهم عن المؤمنين وتدعو كل عاقل إلى احتقارهم ونبذهم بسبب خداعهم وكذبهم، وجبنهم واستهزائهم بتعاليم الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾[6] .

9- الوعد والتهديد للمنافقين والمرتدين من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ إلى آخر السورة[7].

10- عد الله تعالى قطع الأرحام وعدم زيارتها ومودتها نوع من أنواع الفساد في الأرض.

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3287/6).
(2) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج71/5).
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن(ص786).
(4) المراغي، تفسير المراغي(ج44/26).
(5) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط(ج213/13).
(6) المرجع السابق،ص215.
(7) المراغي، تفسير المراغي(ج79/26).

11- يجب على المسلم تدبر القرآن الكريم عند تلاوته أو سماعه وهو تفهم معانيه في حدود قدرة المسلم على الفهم[1] .

12- حرم الإسلام الركون إلى مصالحة الأعداء عند وجود القدرة على قتالهم، والتمكن من دفع شرهم، ولو بأقل المستطاع [2] .

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية (1_13)

المطلب الأول: بيان طريقي الفلاح والخسران

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾[محمد:3]

أولاً: أسباب النزول

أخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس﵄ قال، في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ قَالَ: (هم أهل مكة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: هم الأنصار) [3] .

ثانياً: المعاني اللغوية

1- ﴿كَفَّرَ﴾ الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوبه: قد كَفَرَ درعهُ، وَالْمُكَفِّرُ: الرجل المتغطي بسلاحه[4] .

2- ﴿بَالَهُمۡ﴾ البال: الحال والشأن، وأمر ذو بال: أي شريف يحتفل له ويهتم به، والبال: القلب، والبال الخاطر [5] .

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج86/5).

(2) المرجع السابق، ص92.

(3) [النيسابوري: المستدرك، التفسير/سورة محمد، 496/2: رقم الحديث3703].

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج191/5).

(5) ابن منظور، لسان العرب(ج74/11).

ثالثاً: المناسبة

ختمت سورة الأحقاف بقوله تعالى:﴿بَلَٰغٌۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ وكأنه صيغة استفهام وسؤال عن من هم القوم الفاسقون فكان الجواب في هذه الآيات ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو وجه ارتباط بين السورتين حسن[1] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

يخبر الله تعالى عن حال من كفر بالله ورسوله ﷺ، وصد عن سبيل الله أي الإسلام، أضل الله عمله فأحبطه فلم يحصل له ثواب لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ثم يذكر الله الفئة المقابلة لذلك وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وآياته ولقائه وعملوا الصالحات وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، جزاؤهم أن الله يمحو عنهم ذنوبهم ويصلح بالهم، أي شأنهم وحالهم فلم يفسدوا بعد بشرك ولا كفر هذ جزاؤهم على إيمانهم وصالح أعمالهم، ثم يبين الله تعالى سبب كفرهم بأنهم اتبعوا الباطل وهو الشيطان وما يزينه من أعمال الشرك والشر والفساد و الذين آمنوا اتبعوا الحق وهو القرآن وما جاء به ودعا إليه من العقائد الصحيحة والعبادات المزكية للنفس المهذبة للأرواح ثم قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَالَهُمۡ ﴾ أي مثل هذا التبيين لحال الكافرين وحال المؤمنين في هذه الآيات يبّين الله للناس أمثالهم أي أحوالهم بالخسران والنجاح ليعتبروا فيسلكوا سبيل النجاح، ويتجنبوا سبيل الخسران[2] .

خامساً: وجوه البلاغة

1- استعير اسم **(السَّبِيلِ)** للدين لأن الدين يوصل إلى رضى الله، كما يوصل السبيل السائر فيه إلى بغيته [3] .

2- طباق بين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَبَيْنَ﴿ٱلۡحَقَّ﴾﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾[4] .

3- قوله تعالى: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ ذكر الخاص بعد العام تعظيما للمنزل عليه، وإشعارا بأن الإيمان لا يتم دونه، وأنه الأصل فيه.

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (84/4).

(2) المرجع السابق، ص84.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (73/26).

(4) المرجع السابق، ص77.

4- سجع رصين غير متكلف في قوله تعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- تبدأ الآيات ببيان حقيقة الذين كفروا وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا مع إيحاء بأن الله عدو للأولين وليّ للآخرين، فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة[2] .

2- إن جزاء أهل مكة الذين كفروا بتوحيد اللَّه، وصدوا أنفسهم والمؤمنين عن دين اللَّه، وهو الإسلام، بنهيهم عن الدخول فيه، هو إبطال ثمرة أعمالهم في كفرهم، بما كانوا يسمونه مكارم الأخلاق، فلم يبق لهم عمل، ولم يوجد، وأدى ذلك بالتالي إلى أنه لم يمتنع الإهلاك عنهم، ولا صرفهم عن التوفيق لسبل السعادة[3] .

3- اشتملت الآيات على ثلاثة أوصاف للمشركين وهي: الكفر، والصد عن سبيل الله، وضلال الأعمال الناشئ عن إضلال الله إياهم[4] .

4- ذكرت الآيات بعض أوصاف المؤمنين، وهي الإيمان بما نزل على محمد ﷺ، وعمل الصالحات ، وتكفير سيئاتهم[5] .

5- خص الله تعالى الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ بالذكر مع اندراجه تحت مطلق الإيمان المذكور قبله تنبيهاً على شرفه وعلو مكانه[6] .

6- بينت الآيات أن أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة ولا تشفع له وقد يثاب عليها في الدنيا فيبارك الله في ماله وولده[7].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير(ج77/26).
(2) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3278/6).
(3) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج80/26).
(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج73/26).
(5) المرجع السابق، ص74.
(6) انظر: الشوكاني، فتح القدير(ج36/5).
(7) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج84/4).

7- يبين الله تعالى الحكمة في ضرب الأمثال وهي هداية الناس إلى ما يُفلحون به، فينجون من النار ويدخلون الجنة.

المطلب الثاني: أحكام الجهاد في سبيل الله

قال تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾[محمد].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ (أثخنه): أي جعله ثخينا وأثخن في الأرض: أي تمكن فيها وأثخنته الجراحات، أثقلته[1].

2- ﴿ٱلۡوَثَاقَ﴾ (الْوِثَاقُ) بكسر الواو هو الشيئ المحكم وهي جمع، وقد (وَثُقَ) من باب ظرف أي صار (وَثِيقًا)[2] .

3- ﴿مَنَّۢا﴾ منَّ عليه: أي أنعم ومنَّ عليه بنعمةٍ أَوْلَاها، إذا عددها يريد بها التقريع، يقال آفة الجود المنّ[3].

4- ﴿فِدَآءً﴾ فدَى فلانًا: استنقذه وخلَّصه مما كان فيه بماله أو بنفسه ويقال فدت المرأة نفسها من زوجها، أعطته مالاً حتّى تخلَّصت منه بالطلاق[4] .

5- ﴿أَوۡزَارَهَاۚ﴾ الوزر هو مفرد أوزار، وهو مصدر وُزِرَ ووزَرَ، وهو حمل ثقيل مرهق وشاقّ، ما يصعب حمله والقيام به، أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها، والوزر هو الذنب والإثم[5] .

---

(1) الحميري، شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم(ج2/825).
(2) الرازي، مختار الصحاح(ج1/332).
(3) الحميري، شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم(ج9/6198).
(4) عمر آخرون ، معجم اللغة العربية المعاصرة(ج3/1681).
(5) المرجع السابق، ص2430.

ثانياً: القراءات

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ قرأ البصريان وحفص (قُتِلُوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف بينهما، وقرأ الباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما[1] .

ثالثاً: المعنى الإجمالي

تتحدث الآيات عن أحكام الجهاد ضد الكفار، وهم من لم يكن لهم عهد مع المسلمين، من المشركين وأهل الكتاب، عند وجود مسوغات القتال وتوافر العدوان، وهو قتال لا شفقة فيه ولا هوادة ، فقد بينت الآيات أحكام ما بعد المعركة والإثخان في العدو، من الأسر، فيأمر الله تعالى المؤمنين بإحكام الأسر عليهم وهم مخيرون بين أمرين: إما المنّ عليهم بإطلاق سراحهم بلا مقابل أو بغير عوض، وإما الفداء بمبادلتهم بالأسرى المسلمين أو بدفع الفداء وهو المال الذي يفدي به الأسير نفسه من الأسر، وذلك حتى لا يكون حرب مع الكفار ولا قتال، بأن يضع الأعداء المحاربون أوزارهم، وهو سلاحهم بالهزيمة أو الموادعة، أي إن غاية هذه الأوامر إنهاء الحرب والقتال، وهذا في الحقيقة حث على السلم المستتب، ليعيش الناس في سلام وأمان، ثم بيّن اللَّه تعالى الحكمة من شرع القتال وهي الابتلاء ليعلم المجاهدين في سبيله، والصابرين على ابتلائه من المنافقين ، ثم ذكر اللَّه تعالى ثواب الشهداء وهو الهداية في الدنيا والجنة في الأخرة، وكذلك تقرر الآيات قاعدة من نصر دين الله نصره الله وثبته عند القتال، ثم عقبت الآيات وقارنت بين جزاء المجاهدين وجزاء الكافرين[2] .

رابعاً: المناسبة

بعد قسمة الناس إلى فريقين: فريق الكافرين الذين يتبعون الباطل وهم حزب الشيطان، وفريق المؤمنين الذين يتبعون الحق وهم حزب الرحمن، ذكر اللَّه تعالى حكم القتال عند التحزب، وأرشد المؤمنين إلى قواعد الحرب مع المشركين أثناء المعركة وبعد انتهائها[3] .

خامساً: وجوه البلاغة

1- طباق في قوله تعالى:﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[4] .

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج374/2).

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج88/26).

(3) المرجع السابق، ص84.

(4) المرجع نفسه، ص83.

2- استعارة تبعية في قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾، شبه ترك القتال بوضع آلته، واشتق من الوضع تَضَعَ بمعنى تنتهي وتترك[1] .

3- مجاز مرسل في قوله تعالى:﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾، أطلق الجزء وهو الأقدام وأراد الكل، أي يثبتكم، وعبر بها لأنها أداة الثبات[2] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- وجوب الجهاد على أمة الإسلام ومواصلته كما بيّن تعالى في هذه الآيات، إلى أن لا يبقى كافر يحارب بأن يدخلوا في الإسلام أو يعاهدوا ويدخلوا في ذمة المسلمين ويقبلوا على إصلاح أنفسهم وإعدادها للخير والفلاح[3] .

2- لما ميز الله بين الفريقين أمر بجهاد الكفار، قال ابن عباس: الكفار المشركون عبدة الأوثان، وقيل كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهدٍ ولا ذمة[4].

3- إباحة القتل الشديد في أثناء القتال، لأن ذلك من طبيعة الحرب، تحقيقا للنصر والغلبة، ودحرا للعدو وإنزال الهزيمة الساحقة بجيشه، وقد ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، والضرب هنا بمعنى القطع بالسيف، وهو أحد أحوال القتال عندهم لأنه أدل على شجاعة المحارب لكون مواجة عدوه وجهاً لوجه، والمعنى فاقتلوهم سواء كان القتل بضرب السيف، أو طعن الرماح، أو رشق النبَال، لأن الغاية من ذلك هو الإثخان[5] .

4- إمام المسلمين مخير في الأسرى بين المنّ والفداء، القتل أيضاً لأدلة من السنة[6] .

5- الجهاد طريق للامتحان والاختبار، ليعرف الصادق الصابر، والمضحي المجاهد في سبيل اللَّه، من المنافق الخائن لله ورسوله[7] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[هود:7] .

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج43/5).
(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج83/26).
(3) الجزائري، أيسر التفاسير (ج86/4).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج225/16).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج79/26).
(6) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج86/4).
(7) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج43/5).

6- النصر مشروط بنصرة دين اللَّه تعالى وتطبيق شرعه والتزام أوامره واجتناب نواهيه، لذا كرر اللَّه تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة.

7- القتلى في سبيل اللَّه أو الشهداء لا تضيع أعمالهم، ويهديهم ربّهم إلى إدراك السعادة في الدنيا والآخرة وإلى الثواب ويثبتهم على الهداية، ويرشدهم إلى طريق الجنة من غير بحث ولا حيرة[1] .

8- فالإسلام لا يطالبنا بأن نقاتل أهل الكتاب أو الوثنيين أو المجوس مثلا من غير سبب، وإنما يطالبنا بأن ندعوهم إلى الإسلام فإن تركونا أحرارا في بث الدعوة وإقامة البراهين عليها فلا نقاتلهم، وإن قاوموا الدعوة أو اعتدوا على الدعاة قاتلناهم تقريراً لمبدأ الحرية الدينية وحماية للدعوة وكفا لأذاهم[2] .

المطلب الثالث: تقرير قاعدة العاقل من اعتبر بغيره

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [محمد].

أولاً: أسباب النزول

1- قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس ﷺ قال: لما خرج رسول اللَّه ﷺ تلقاء الغار، نظر إلى مكة، فقال: أنت أحبّ بلاد اللَّه إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك، لم أخرج منك[3] .

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج80/26).
(2) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج459/3).
(3) انظر: السيوطي، لباب النقول من أسباب النزول(ص176).

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿عَاقِبَةُ﴾ عاقبة كل شيء آخره، وقولهم ليست لفلانٍ عاقبةٌ أي ولد، وقول النبي ﷺ(أنا العاقب)[1]، يعني آخر الأنبياء، وكلُّ من خَلَفَ بعد شيء فهو عاقبه[2] .

2-﴿مَوْلَىٰ﴾ المولى: هو المالك وتأتي بعدة معاني: المعتِق والصديق والصاحب والجار، وَالْوَلَاء: مصدر مولى، والولاية: الإمارة، وَالْوَلِيّ: خلاف الْعَدو[3] .

3-﴿مَثْوًى﴾ ثوا: الثواء طولُ المُقام، وأثويت بهِ: أَطلت الإقامة به وثوى بالمكان: نزل فيه وبه سمي المنزل مثوى وجمعه المثاوي، ومثوى الرجل منزله[4] .

ثالثاً: المناسبة

بعد أن أبان اللَّه تعالى مصير الكافرين والمؤمنين، ونعى على الأولين، وأثنى على الآخرين تنبيها على وجوب الإيمان، وحضّ على النظر في آثار الأمم المتقدّمة، والتأمل في أحوال المؤمنين والكافرين، للعبرة والعظة، وإدراك أن اللَّه ناصر المؤمنين وخاذل الكافرين، ومنعم على أهل الإيمان والصلاح بالجنة، بسبب تبيّنهم الحق، ومعاقب الكفار بالنار، بسبب اتباعهم أهواءهم في عبادة الأوثان[5] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى عن حال الكافرين مالهم لم يسيروا في الأرض فينظروا نظر اعتبار بقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التي كذبت رسلها كقوم عاد وثمود وأصحاب القرية وقوم لوط فإن آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم، كيف دمر الله عليهم، وأهلك كل ما يختص بهم من النفس والمال والأهل والولد، ولم يبق إلا آثارهم الشاهدة عليهم، وللكافرين المشركين من قريش أمثال عقوبتهم، وهذا عذابهم في الدنيا، ولا غرابة في ذلك، فالله مولى الذين آمنوا ينصرهم ويهديهم ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم، والكافرون لا مولى لهم ينصرهم من آلهتهم وشركائهم الذين عبدوهم من دون الله، وأما حالهم في الآخرة فاعلم أن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(1) انظر: البيهقي، شعب الإيمان(ج140/2).
(2) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج184/1).
(3) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج7281/11).
(4) ابن منظور، لسان العرب(ج125/14).
(5) انظر: الزحلي، التفسير المنير(ج96/26).

جنات تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها نعيم مقيم، والذين كفروا في الدنيا يتمتعون بمتاعها الفاني أياما قليلة، ويأكلون أكلا كأكل الأنعام والنار مثوى لهم، فانظر إلى من عرفوا الدنيا على أنها خيال باطل ونعيم زائل، فتركوا الشهوات وتفرغوا لعمل الصالحات، فكانت عاقبتهم النعيم المقيم، وهؤلاء الكفار غفلوا عن الآخرة، وغرتهم الدنيا فكانت النار مثوى لهم، وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين أخرجوك أهلكناهم بعذاب بئيس، ولم يستطيعوا الخلاص منه بأنفسهم، ولم يكن لهم ناصر ينصرهم من أوليائهم وأصنامهم[1] .

خامساً: وجوه البلاغة

1- استئناف بياني في قوله تعالى:﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهذا تعريض بالتهديد والتدمير، والإهلاك والدمار[2] .

2- مجاز مرسل في قوله تعالى:﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ أي أخرجك أهلها، والإخراج باعتبار التسبب [3] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- هدّد الحق تعالى بحال الأقدمين، ودعا كفار قريش والناس قاطبة إلى النظر بقلوبهم في مصير الكافرين المكذبين، كيف أهلكهم واستأصلهم من الأرض.

2- من لم يكن الله مولاه فلا مولى له، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء، فهو في النهاية مضيع عاجز، ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة [4] .

---

(1) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج463/3).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج87/26).

(3) الزحلي، التفسير المنير(ج95/26).

(4) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3290/6).

3- كثيرا ما يقتصر اللَّه على ذكر الأنهار في وصف الجنة، يقول الرازي[1] لأن الأنهار يتبعها الأشجار، والأشجار تتبعها الثمار، والماء سبب الحياة، والنار سبب الإعدام[2] .

4- بين الله تعالى حال الكافرين في الدنيا، ليس لهم هم إلا فروجهم وبطونهم، لذلك كانوا كالأنعام، وقيل المؤمن يتزود، والمنافق بتزين، والكافر يتمتع[3] وكذلك حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة عن النبيﷺ أنه قال:(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) [4] .

5- شبه الله تعالى أكل الكافرين بأكل الأنعام، وقد روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول(المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء) [5] .

6- بينت الآيات الفرق بين أهل الكفر الماديين وأهل الإيمان والاستقامة على منهج الإسلام.

7- قررت الآيات قاعدة: العاقل من اعتبر بغيره، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[6] .

---

(1) الرازيّ: هو الإمام محمد بن عمر أبو عبد الله المشهور بفخر الدين الرازي الإمام المفسر، والعالم المتبحر في علوم العقل والنقل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، من أشهر تصانيفه (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) توفي في هراة، انظر: الزركلي، الأعلام(ج313/6).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج44/28).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج235/16).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد/ الزهد والرقاق، 2272/4: رقم الحديث2956].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الأطعمة/ المؤمن يأكل بمعي واحد، 71/7: رقم الحديث5393].

(6) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج77/5).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(14_23)

المطلب الأول: التقوى هو الميزان للنعيم أو للعذاب

قال تعالى:﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾[محمد].

أولا: معاني المفردات

1- ﴿ءَاسِنٖ﴾ ماء غير آسن أي غير منتن، والاسن المتغير الآجن، يقال أسن الماء، ويأسن فهو آسن وأسن إذا أنتن فلم يقدر أحد على شربه[1] .

2- ﴿حَمِيمًا﴾ الحميم وأَصلها من الحم الحرارة ومن حُمة السنان، وهي حِدتُه، وأَتيته حَمَّ الظَّهيرةِ أي في شدة حرها؛ والحميم والحميمة جميعاً الماء الحار[2] .

ثانيا: المناسبة

بعد بيان الفرق بين المؤمنين والكافرين في الاهتداء والضلال، بيّن اللّه تعالى الفرق بينهما في الجزاء والمرجع والمآل، فذكر ما للمؤمنين من أنواع النعيم في الجنة، وما للكافرين من الخلود في النار وشرب الماء شديد الحرارة الذي يقطّع الأمعاء، والكلام متصل أيضا بما قال ﷻ قبل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[محمد:12] فهناك بيان الجزاء، وهنا وصف تلك الجنات المعدة للمتقين[3] .

---

(1) النحاس، معاني القرآن(ج473/6).

(2) ابن منظور، لسان العرب(ج153/12).

(3) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج102/26).

ثالثا: المعنى الإجمالي

تضمنت هذه الآيات شرحاً وافياً لأنهار الجنة، وشراب أهل النار، كما اشتملت على مقارنة بين حال أهل الإيمان والتقوى وما وعدوا به من مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة، وبين حال أهل النار وهم خالدون فيها وما وعدوا فيها من ألوان العذاب الشديد، يتحدث الله تعالى عن الجنة التي وعد المتقون أي التي وعد الله تعالى بها عباده المتقين له، وهم أولياؤه الذين عبدوه ووحدوه فأطاعوه في الأمر والنهي فاقوا بذلك الشرك والمعاصي، فيها أنهار من ماء غير آسن أي غير متغير الطعم ولا الريح بطول المكث، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أي بحموضة ولم يصر قارصا، ولذلك لم يتغير ريحه أيضا، وأنهار من خمرة لذة للشاربين أي وفيها أنهار من خمر هي لذة لمن يشربها، وسبب لذاذتها أنها غير كدرة ولا مسكرة ولا ريح غير طيبة لها، وأنهار من عسل مصفى أي وفيها أنهار من عسل مصفى أي من الشمع وفضلات النحل، وقوله ولهم فيها من كل الثمرات أي من سائر أنواع الثمار من فواكه وغيرها، ومع ذلك مغفرة من ربهم لسائر ذنوبهم، فهل يستوي من هذه حالهم بحال من هو خالد في النار لا يخرج منها، وسقوا ماء حميما حارا شديد الحرارة فلما شربوه قطع أمعاءهم، أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم والعياذ بالله من النار وحال أهل النار اللهم أجرنا من النار[1] .

خامسا: وجوه البلاغة

1- إطناب بتكرار لفظ أَنْهارٌ، تشويقا لنعيم الجنة قال تعالى:﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾[2] .

2- قوله تعالى: ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ﴾ كلام مستأنف مقدر فيه استفهام انكاري، دل عليه ما سبق من قوله تعالى:﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾[مُحَمَّد: 14] [3].

سادسا: تحليل المقاصد والأهداف

1- قارن اللَّه تعالى بين نوعين من جزاء المؤمنين المتقين، والكافرين الظالمين، وهي مقارنة تستوجب التأمل، وتبيّن مدى الفرق الشاسع بين المرغب فيه والمرهب منه[4] .

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج78/5).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج101/26).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج94/26).

(4) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج105/26).

2- بُنِيَ الفعل (زُيِّنَ) للمجهول ليشمل المزينين لهم من أئمةِ كفرهم، وما سولته لهم أيضاً عقولهم الآفنة من أفعالهم السيئة اغتراراً بالإلفِ أو اتباعاً للذات العاجلة[1] .

3- يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي نعتها وصفة هذه الجنة وما احتوت عليه من أنهار وثمار ونعيم[2] .

4- التقوى هي السبب المورث للجنة هكذا جعلها الله عز وجل، والتقوى هي بعد الإيمان فعل المأمورات وترك المنهيات من سائر أنواع الشرك والمعاص[3] .

5- وتقول رابعة العدوية [4](ولو لم تكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد، ولم يخشه أحد) وتجيب سفيان الثوري[5] وقد سألها: ما حقيقة إيمانك تقول: (ما عبدته خوفا من ناره، ولا حباً لجنته، فأكون كالأجير السوء، عبدته شوقا إليه)[6] .

6- على المؤمن إذا سأل الله الجنة أن يسأله الفردوس الأعلى لحديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة في حديث طويل(إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوق عرش الرحمن، ومنه تفجرُ أنهار الجنة)[7] .

7- أخرج الإمام الترمذي بسنده في وصف الجنة عن النبي ﷺ أنه قال: (في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد)[8] .

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج93/26).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج312/7).

(3) الجزائري، أيسر التفاسير(ج79/5).

(4) رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك البصرية، صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها، لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شِعر من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس، وفاتها سنة 135 وقيل سنة 185: انظر: الأعلام الزركلي(ج10/3).

(5) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في(الفرائض) انظر: الزركلي، الأعلام(ج104/3).

(6) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3292/6).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ درجات المجاهدين، 16/4: رقم الحديث2790].

(8) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة الجنة/ صفة أنهار الجنة 281/4: رقم الحديث2571]، حديث صحيح.

المطلب الثاني: الاستغفار من أعظم العبادات القولية

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد].

أولا: أسباب النزول

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج[1] قال كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيسمع المؤمنون منه ما يقول ويعونه، أي يفهمون ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألوا المؤمنين ماذا قال آنفا فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾[2] .

ثانيا: معاني المفرادات

1-﴿ءَانِفًا﴾ أخذ الشيء من أوله، يقال استأنفت كذا، أي رجعت إلى أوله، وائتنفتُ ائتنافاً، ومؤتنف الأمر ما يبتدأ فيه، ومن هذا الباب قولهم: فعل كذا آنفاً، كأنه ابتداؤه[3] .

2-﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ الساعةُ: الوقتُ الحاضرُ، والجمع الساع والساعاتُ، وسَوْعاءُ، أي شديدةٌ والساعَةُ القيامةُ[4] .

3-﴿بَغْتَةً﴾ (بَغَتَهُ) أي فاجأهُ ولقيَهُ (بَغْتَةً) أي فجأة و (الْمُبَاغَتَةُ) المفاجأة[5] .

---

(1) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكيّ، كان إما أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، روميّ الأصل، من موالي قريش مكي المولد والوفاة، قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس. انظر: الزركلي، الأعلام(ج160/4).

(2) انظر: السيوطي، لباب النقول من أسباب النزول(ص176).

(3) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة(ج146/1).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج1233/3).

(5) الرازي، مختار الصحاح(ج37/1).

4-﴿أَشْرَاطُهَا﴾ والشَّرَطُ، بالتَّحريكِ العلامَةُ الَّتي يجعلها النَّاس بينَهم، وأَشْراطُ السَّاعة علاماتُها، والشَّرَطُ أول الشيء، قالَ بعضُهم ومنه أشراط الساعة[1] .

ثالثا: المناسبة

بعد بيان حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، ذكر اللَّه تعالى حال المنافقين، وأنهم من الكفار، وأنهم جهلة لا يفهمون كلام النّبي ﷺ عند الاستماع إليه، وإنما يستمعون ولا ينتفعون، لتهاونهم واستهزائهم، على عكس حال المؤمن المهتدي، فإنه يستمع ويفهم، ويعمل بما يعلم، ثم هدد تعالى أولئك المنافقين وأمرهم بأن يتّعظوا ويعتبروا ويتذكروا قبل مجيء الساعة، ثم أمر اللَّه تعالى رسوله ﷺ بالثبات على ما هو عليه من صحة الاعتقاد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات[2] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

يبين الله تعالى أن من الناس من يستمعون إليك يا محمد ﷺ بآذانهم، حتى إذا خرجوا من عندك، قالوا للذين أوتوا العلم والفهم الصحيح: ماذا قال آنفا؟ ماذا قال في تلك الساعة القريبة؟ لم يقل شيئا يعتد به، أولئك هم الذين طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوا شيئا مما قلت، وختم عليها حتى لا يدخلها نورك الوضاح، ويقابل هؤلاء الذين اهتدوا إلى طريق الحق، وزادهم الله ﷻ هدى بالتوفيق والإلهام والعمل الصالح، وآتاهم تقواهم بأن خلق فيهم قدرة على التقوى وفعل الطاعة جازاهم على ذلك، فهؤلاء الذين طبع الله على قلوبهم فلم يسمعوا الخير ولم يهتدوا به، هل ينظرون إلا أن تأتيهم الساعة فجأة، فقد جاء أشراطها وعلاماتها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة، ومن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة؟! إذا علمت ذلك فاثبت على ما أنت عليه، ودم على العلم بوحدانية الله والإيمان بالبعث، واعلم أنه لا إله إلا الله، فإن ذلك هو النافع المنجى يوم لا ينفع مال ولا بنون، واستغفر لذنبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، والله يعلم تقلبكم في الدنيا وتصرفكم فيها، ويعلم مكان استقراركم في الآخرة، وسيثيبكم على ذلك كله فإنه لا تخفى عليه خافية[3] .

---

(1) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج405/19).

(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج106/26).

(3) المرجع السابق، ص 106.

خامساً: البلاغة

1- ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ ﴿تَقْوَىٰهُمْ﴾ ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾ سجع رصين غير متكلف، له جرس وإيقاع قوي على السامع.

2- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾[الأَنْعَام: 158] الاستفهام انكار مشوب بتهكم، وهو إنكار وتهكم على غائبين[1] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- من منهج القرآن الموازنة والمقارنة بين الأضداد ليتبيّن الفرق وهنا قابل بين المؤمنين المهتدين والمنافقين [2] .

2- لا يفيد المؤمن إلا الثبات على توحيد اللّه، والاعتقاد بأن لا إله إلا اللّه لها الفوقية والتقدم على كل شيء [3] .

3- التحذير من اتباع الهوى فإنه يعمي ويصم والعياذ بالله[4] .

4- ومعنى﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يحضرون مجلسك ويسمعون كلامك وما تقرأ عليهم من القرآن، وهذه صفة من يتظاهر بالإسلام فلا يُعرِضونَ عن سماع القرآن اعراض[5] .

5- أما أمر النبيﷺ بالاستغفار فقيل لتستن به أمته وتقتدى به، فإذا كان هو مأمورا بالاستغفار وهو المعصوم فكيف بنا نحن[6] .

6- والاستماع معناه السماع باهتمام، يدل على أنهم كانوا يتظاهرون تظاهرا بأنهم يلقون سمعهم وبالهم للرسول ﷺ وقلوبهم لاهية غافلة [7] .

---

(1) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج467/3).
(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج112/26).
(3) المرجع السابق، ص112.
(4) الجزائري، أيسر التفاسير(ج82/5).
(5) انظر: ابن عاشور، سبق ذكره(ج98/26).
(6) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج468/3).
(7) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3294/6).

7- ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى أصول الحكمة النظرية بمعنى العلم النظري، والثاني إلى أصول الحكمة العملية بمعنى العمل، أمره بالحكمة العملية بعد الحكمة النظرية وهذا من واقعية الإسلام، فلا بد من العلم والفهم قبل الذهاب للتطبيق والعمل[1] .

المطلب الثالث: قطع الأرحام نوع من أنواع الفساد في الأرض

قال تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾[محمد].

أولا: معاني المفردات

1- ﴿مُّحۡكَمَةٞ﴾ وسورة محكمة غير منسوخة، والآيات المحكمات أي التي أحكمت فلا يحتاج سامعها إلى تأويلها لبيانها، كأقاصيص الأنبياء[2] .

2- ﴿ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ﴾ (وغَشَياناً)، محرَّكةً (أُغْمِيَ) عَلَيْهِ، والاسْمُ(الغَشْيَةُ)، بالفَتْح ويقالُ: إنَّ (الغشيَ) تعطل القوى المحركة والأوردة الحساسة، لضعف القلب بسبب وجع شديد أو برد أو جوع مفرط، وفرقوا بينه وبين الإغماء[3] .

ثانيا: القراءات

1- ﴿رَأَيۡتَ﴾ حقق الجميع همزه وصلا ووقفا إلا حمزة فله فيه التسهيل فقط وقفا[4] .

2- ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾ كسر السين نافع، وفتحها غيره [5] .

3- ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ فروى رويس بضم التاء وكسر اللام وقرأ الباقون بفتحهن[6] .

---

(1) انظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان(ج135/6).
(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط(ج1095/1).
(3) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج164/39).
(4) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ج297/1).
(5) المرجع السابق، ص 279.
(6) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج414/2).

4- ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ فقرأ يعقوب بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة[1] .

ثالثاً: المناسبة

بعد بيان حال الكافر والمنافق والمهتدي، عند استماع آيات العقيدة أو الآيات العلمية من التوحيد والحشر والبعث وغيرها من أصول الاعتقاد في الإسلام، بيّن تعالى حالهم عند نزول الآيات العملية، كآيات الجهاد والصلاة والزكاة ونحوها، فأوضح أن المؤمن كان ينتظر نزولها، وإذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرنا بشيء من العبادة، ليتقرب إلى ربه ويحظى برضاه، وأن المنافق كان إذا نزل شيء من التكاليف البدنية أو المالية شقّ عليه، ليعلم تباين الفريقين في العلم والعمل[2] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى عن حال المؤمنين الصادقين الحريصين على الجهاد، التواقين لبذل النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله، هلا أنزلت سورة يؤمر فيها بالجهاد هؤلاء هم المؤمنون يتمنون أن تنزل سورة وفيها الأمر بالجهاد، أما المنافقون فإذا أنزلت سورة محكمة، لا شبهة فيها ولا خفاء، وذكر فيها القتال على أنه فرض، رأيت المنافقين ينظرون إليك نظرا كنظر المحتضر الذي لا يطرف بصره، تراهم تشخص أبصارهم إليك جبنا وهلعا، ثم يقول الله تعالى طاعة وقول معروف خير لهم وأولى بهم فإذا عزم الأمر وجد الجد، فلو صدقوا الله في نيتهم وأخلصوا العمل لكان خيرا لهم وأفضل من نفاقهم وكذبهم، فإن وبال ذلك عليهم وحدهم، فهل يتوقع منكم إن توليتم عن الحق، وأعرضتم عن القرآن أن تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وتقطعوا الأرحام وهذا ما وصل إليه المسلمون اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله أولئك الذين لعنهم الله وأبعدهم عن رحمته، فأصمهم عن الحق فلم يسمعوه وأعمى أبصارهم عن النور فلم يروه[3] .

خامساً: البلاغة

1- ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ مجاز عقلي، لأنه نسب العزم إلى الأمر، وهو لأهله، مثل (نهاره صائم).

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج414/2).
(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج115/26).
(3) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج471/3).

2- ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، ليكون أبلغ في التوبيخ وآكد في التقريع، وفيه ما يسمى في البلاغة في غير القرآن بتجاهل العارف أي سلوك طريقة الاستخبار[1] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- المؤمنون الصادقون حريصون على الجهاد، تواقون لبذل النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله، يتمنون أن تنزل سورة وفيها الأمر بالجهاد[2] .

2- هدد اللَّه المنافقين وتوعدهم وحذرهم بقوله: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ أي الويل والهلاك لهم، والمراد الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه[3] .

3- في القرآن محكم ومنسوخ من الآيات وكله كلام الله يتلى ويتقرب به إلى الله تعالى ويعمل بالمحكم دون المنسوخ وهو قليل جداً[4] .

4- يستفاد من قوله تعالى: ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار بالسان وعمل بالجوارح والأركان.

5- رسمت الآيات صورة المنافقين عند القتال، يفقدون تماسكهم، ويسقط عنهم ستار الرياء الذي يتسترون به، وينكشف جزعهم وضعف نفوسهم من المواجهة[5] .

6- قطع الرحم من أنواع الفساد في الأرض روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: فذاك)[6].

7- ﴿فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إذعان وقبول، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات[7] .

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير(ج114/26).
(2) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج470/3).
(3) الزحيلي، التفسير المنير(ج119/26).
(4) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج84/5).
(5) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3296/6).
(6) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ وتقطعوا أرحامكم، 134/6: رقم الحديث4830].
(7) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن(ص788).

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة محمد من الآية(24_38)

المطلب الأول: حال المنافقين بعد ردتهم وعند قبض أرواحهم والتذكير بحكمة الجهاد

قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[محمد]

أولاً: أسباب النزول

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ في سبب نزول هذه الآية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي ﷺ بعدما عرفوا نعته عندهم، قاله ابن جريج، وقال ابن عباسﷺ والضحاك والسدي هم المنافقون، قعدوا عن القتال بعدما علموه في القرآن[1] .

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿أَدْبَـٰرِهِم﴾ الدُّبُرُ: نقيض القُبُل من كل شيء، ويقال للقوم في الحرب: ولَّوهم الدُّبُر والأدبار: أي انهزموا وأدبار السجود: أواخر الصلوات[2] .

2- ﴿سَوَّلَ﴾ سولت له نفسه كذا زينته له، وسول له الشيطان أغواه، والتسويل تحسين الشيء وتزينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله[3] .

3-﴿وَأَمْلَىٰ﴾ الإمْلاء: الإمهال والتأْخير وإطالة العمر، أي أوهمهم طول العمر والأمن من المكروه، ويقال أملى القيد للبعير إذا أطاله، وتمليتُ عمري استمتعت به[4] .

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج249/16).

(2) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج2016/4).

(3) ابن منظور، لسان العرب(ج350/11).

(4) المرجع السابق، ص350.

4-﴿أَسْخَطَ﴾ أسخطَ يُسخِط، إسخاطًا، فهو مُسخِط، والمفعول مُسخَط أسخط فلاناً أغضبه وأغاظه، أسخَط والديه بتصرّفاته[1] .

ثالثاً: القراءات

1- ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء، وقرأ يعقوب بضم الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء، والباقون بفتح الهمزة واللام وألف بعدها [2] .

2-﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها [3] .

3- ﴿رِضْوَانَهُۥ﴾ ضم الراء شعبة، وكسرها غيره[4] .

رابعاً: المناسبة

بعد بيان حال إعراض المنافقين عن الخير واستماع القرآن، أمرهم تعالى بتدبر القرآن ونهاهم عن الإعراض عنه كيلا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات، ثم أخبر أنهم رجعوا وارتدوا إلى الكفر بعد ما تبين لهم حقيقة الإسلام بالدلائل الواضحة [5] .

خامساً: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى ما لهؤلاء المشركين أغفلوا فلم يتدبروا ويتفكروا القرآن فيعرفوا الحق من الباطل أم أن قلوبهم مقفلة فلا تهتدي لشيء، ثم تبين الآيات أن الذين رجعوا إلى الكفر بقلوبهم دون ألسنتهم، وهم المنافقون من بعد ما تبين صدق الرسول ﷺ وصحة دينه الإسلام هؤلاَء المرتدون، الشيطان زين لهم ذلك الارتداد وأعطاهم الأماني بطول العمر والعيش الطيب الواسع فيها، وقوله تعالى ذلك أي الإضلال الذي حصل لهم بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله من القرآن والشرائع وإبطال الشرك والشر والفساد وهم المشركون، قالوا لهم سرا وخفية سنطيعكم في بعض الأمر ، وذلك كعدم قتالكم وتثبيط الناس عن القتال إلى غير ذلك مما أسروه لإخوانهم المشركين، ثم يخبر تعالى أنهم لما كانوا يسرِّون كلمات الكفر للمشركين كان تعالى مطلعا عليهم فهو يعلم إسرارهم وها هو ذا قد أطلع عليهم رسوله والمؤمنين، ثم بينت الآيات حالهم إذا توفتهم ملائكة العذاب وهم يضربون بمقامع من حديد وجوههم و ظهورهم، وذلك أن سبب

---

(1) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة(ج1045/2).

(2) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ص321).

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج374/2).

(4) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ص321).

(5) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج122/26).

العذاب أنهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكرهو شرائع الله من الجهاد في سبيله فأحبط الله أعمالهم، أي أبطلها فلم يثبهم عليها لأنهم مشركون كافرون وعمل المشرك والكافر باطل وهو خاسر[1] .

سادساً: وجوه البلاغة

1- استعارة مكنية في قوله تعالى:﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ إذ شبهت الآيات القلوب أي العقول، في عدم إدركها الحق بالأبواب أو الصناديق المغلقة[2] .

2- طباق بين قوله تعالى:﴿أَسْخَطَ﴾﴿رِضْوَانَهُۥ﴾ ﴿ٱتَّبَعُواْ﴾ ﴿وَكَرِهُواْ﴾[3] .

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- يجب على المسلمين وغير المسلمين تدبر القرآن وتفهمه للتعرف على أحكامه ومراميه وغاياته، وليعلم ما أعد اللَّه للذين تولوا عن الإسلام[4] .

2- الارتداد عن الإسلام كالرجوع عن الطاعة إلى المعصية سببهما تزيين الشيطان للعبد ذلك وإملاؤه له بالتمنيّ والوعد الكاذب[5] .

3- توبيخهم على ظلمة القلوب وقسوتها حتى لا تقبل التفكر والتدبر قال الرازي: إن القلب خُلق للمعرفة فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه غير موجود[6] .

4- فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه، لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت، ولم تنفع عاملها[7].

5- الكلام على المنافقين فالذين ارتدوا على أدبارهم منافقون، فيجوز أن يكون مراداً به قوم من أهل النفاق، كانوا قد آمنوا حقاً ثم رجعوا إلى الكفر لأنهم كانوا ضعفاء الإيمان قليلي الاطمئنان[8] .

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج93/4).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج114/26).
(3) المرجع السابق، ص119.
(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج127/26).
(5) الجزائري، أيسر التفاسير (ج94/4).
(6) الصابوني، صفوة التفاسير (ج197/3).
(7) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن(ج183/22).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج114/26).

المطلب الثاني: البلاء سنة إلهية ليميز الخبيث من الطيب

قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾[محمد]

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾ أي عداوتهم أي يظهروا عداوتهم لأهل الإسلام قال الجوهري[1]الضغنُ والضغينة: الحقد، وتضاغن القوم أبطنوا على الأحقاد[2] .

2- ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ أَي عَلَامَتُهُمْ، والأصل فيها الواو فقلبت لكسرة السين، وتُمد وتُقصر، قال: والسِّيما يَاؤُهَا فِي الأَصل وَاوٌ، وهي العلامة يعرف بها الخير والشر[3] .

3-﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ البَلاء، الغَمُّ كأنَّه يُبْلي الجسم، ونبلونكم بمعنى نختبرنكم[4] .

ثانياً: القراءات

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نعلم، ونبلوا، قرأ شعبة بالياء التحتية في الأفعال الثلاثة، والباقون بالنون فيهن، وقرأ رويس بإسكان واو ونبلو، وغيره بفتحها[5] .

---

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، لغويّ، من الأئمة، من أشهر كتبه (الصحاح) أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلا. انظر: الزركلي، الأعلام(ج313/1).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج2145/6).

(3) ابن منظور، لسان العرب(ج312/12).

(4) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج207/37).

(5) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة(ص321).

ثالثاً: المناسبة

انتقال من التهديد والوعيد إلى الانذار، بأن الله مُطلعُ رسوله ﷺ على ما يضمره المنافقون من الكفر والمكر والكيد، ليعلموا أن أسرارهم غير خافية، فيوقنوا أنهم يكُدون عقولهم في ترتيب المكائد بلا طائل، وذلك خيبة لآمالهم[1] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

تتحدث الآيات أنه أحسب الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، والمرض هو مرض النفاق الناجم عن الشك في الإسلام وشرائعه، أن لن يخرج الله أحقادهم فيظهرها لرسوله والمؤمنين، فحسبانهم هذا باطل ولو شاء الله لعرف علامات النفاق لرسوله، ويقسم الله تعالى لنبيه وعزتي وجلالي لتعرفنهم في لحن القول، أي في معاني كلامهم إذا تكلموا عندك وبين يديك، فإن كلامهم لا يخلو من التعريض بالمؤمنين بانتقاصهم والقدح في أعمالهم، ثم يبين الله سنة إلهية وهي الابتلاء بالجهاد والإنفاق حتى نظهر ذلك لكم فتعرفوا المجاهد من القاعد والصابر من الضاجر منكم وبينكم، ﴿**وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ أي ما تخبرون به عن أنفسكم وتتحدثون به فنظهر الصدق من خلافه فيه، ثم تبين الآيات جزاء الذين كذبوا بالله ورسوله ﴿**وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي الإسلام فصرفوا الناس و خالفوا الرسول وعادوه وحاربوه بعدما ما ظهر لهم الحق وأنه الرسول، ﴿**وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**﴾ أي يبطلها عليهم فلا ينالون بها ما يؤملون في الدنيا بذهاب كيدهم وخيبة أملهم، إذ ينصر الله رسوله ويعلي كلمته، وفي الآخرة لأن الأعمال المشرك والكافر باطلة حابطة لا ثواب عليها سوى ثواب الجزاء المهين[2] .

خامساً: وجوه البلاغة

1- استعير المرض إلى الكفر بجامع الإضرار بصاحبه، ولكون الكفر مقره العقل المعبر عنه بالقلب، كان ذكر القلوب مع المرض ترشيحاً للاستعارة، لأن القلب مما يناسب المرض الخفي إذ هو عضو باطن فناسب المرض الخفي[3] .

2- مجاز مرسل في قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**﴾ حيث أطلق اسم الابتلاء على التكليف[4] .

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج120/26).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن(ص789).

(3) ابن عاشور التحرير والتنوير (ج120/26).

(4) المرجع السابق، ص123.

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- تقرير قاعدة هي أنه لا بد من الابتلاء لمن دخل في الإسلام ليكون الإيمان على حقيقته لا إيمانا صوريا أدنى فتنة تصيب صاحبه يرتد بها عن الإسلام[1]، قال تعالى:﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[العنكبوت:2]

2- بالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال، فيظهر المخلص، ويفتضح الكاذب، وينكشف المنافق، فالذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا، والذين كفروا ونافقوا وقعوا في الهوان وأذلّوا، ووسموا بالشقاوة وقطعوا [2] .

3- الاستفهام المقدر بعد (أم) للإنكار، وحرف (لن) لتأييد النفي، أي لا يحسبون انتفاء اظهار أضغانهم في المستقبل، كما انتفى ذلك فيما مضى، فلعل الله أن يفضح نفاقهم[3] .

4- علم الله يتعلق بأعمال الناس بعد أن تقع، ويتعلق بها قبل وقوعها فإنها ستقع، ويتعلق بعزم الناس على الاستجابة لدعوة التكاليف قوةً وضعفاً، ومن عدم الاستجابة كفراً وعناداً، فبين بهذه الآية أن من حكمة التكاليف أن يظهر أثر علم الله بأحوال الناس وتقدم الحجة عليهم [4] .

5- إن ميدان الحياة ميدان اختبار وتجربة لينكشف الناس بعضهم لبعض، فيتعبدهم اللَّه بالشرائع، وقد علم سبحانه سلفا عواقب الأمور، من أجل رؤية المجاهدين في سبيل اللَّه والصابرين على مشاق التكاليف، وتمييزهم عن غيرهم، واختبار أخبارهم وإظهارها للملأ، فبالجهاد يعلم الصادق في إيمان[5] .

6- المقصود بقوله تعالى: ﴿**لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا**﴾، أريد به ضرر دينه، وهو تشريف لهذا الدين، وجاءت كلمة شيئا نكرة للتقليل[6] .

---

(1) الجزائري، أيسر التفاسير(ج96/4).

(2) القشيري، لطائف الإشارات(ج414/3).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج120/26).

(4) انظر: المرجع السابق، ص123.

(5) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج128/26).

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج126/26).

المطلب الثالث: حرمة الركون إلي الأعداء مع القدرة على قتالهم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ۝٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٥ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ۝٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ۝٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ۝٣٨﴾[محمد]

أولاً: أسباب النزول

ذكر الإمام السيوطي عن أبي العالية[1] قال: كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يرون أنه لا يضر مع (لا إله إلا اللَّه) ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل[2] .

ثانياً: معاني المفردات

1-﴿تَهِنُواْ﴾ الوَهْن الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العَظْم ونحوه[3] ولاتهنوا أي لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم[4] .

2-﴿ٱلسَّلۡمِ﴾ وأَسْلَمَ أمره إلى الله أي سَلَّمَ، وأَسْلَمَ، أي دخل في السَلْمِ، وهو الاستسلام. وأَسْلَمَ من الإسلام، وأَسْلَمَهُ، أي خذله، والتَسالُمُ التصالح، والمُسالَمَةُ المصالحة[5].

---

(1) أبي العالية: هو رفيع بن مهران، الإمام المقرئ، والحافظ المفسر البصري، أدرك النبيﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبو بكر الصديق، وسمع من عمر وعلي وابن عباس وعائشة ﷺ، وحفظ القرآن، وتصدر لإفادة العلم وبعد صيته. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج117/5).

(2) السيوطي، لباب النقول من أسباب النزول(ص177).

(3) الهروي، تهذيب اللغة(ج234/6).

(4) أبو البقاء الحنفي، الكليات(ج976/1).

(5) الفارابي، تاج اللغة وصحاح العربية(ج1952/5).

3-﴿يَتِرْكُمْ﴾ أي لن ينتقَّصكم في أعمالكم، كما تقول: دخلت البيت وأنت تريد دخلت في البيت[1] ، يقال: وتره حقَهُ أي نقصه[2] .

4-﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ أَي يُجْهِدْكُم، وأَحْفَيْتُ الرجل إِذَا أَجْهَدْتَه، وأَحْفَاه برح به في الإلحاح عليه، أَو سأله فأكثر عليه في الطلب[3] .

ثالثاً: القراءات

﴿ٱلسَّلْمِ﴾ قرأ أبو بكر وحمزة وتدعوا إلى السلم بكسر السين وقرأ الباقون بالفتح السلم بالكسر الإسلام قال أبو عمرو وقال آخرون هما لغتان الفتح والكسر[4] .

رابعاً: المناسبة

بعد بيان حال المنافقين، ذكر اللَّه تعالى حال جماعة من أهل الكتاب وهم بنو قريظة والنّضير، كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه، فهددهم اللَّه، لأنهم تركوا الحق بعد معرفته ثم أبان تعالى حكم من ماتوا كفارا، وكذلك أمر اللَّه تعالى بالجهاد، ونهى عن الضعف والخور في مواصلة الكفاح وطلب الموادعة والمصالحة مع الأعداء [5] .

خامساً: المعنى الإجمالي

يأمر الله تعالى المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله وعدم إبطالها بالكفر والنفاق، ويبين للناس حال الذين جحدوا بآيات الله وصدُّوا الناس عن الإيمان وماتوا على الكفر لن يغفر الله لهم، ثم يبين الله تعالى حكم من أحكام المعاملات بين الدول، فلا تضعفوا وتدعوا إلى المهادنة والصلح مع الكفار إذا لقيتموهم وأنتم الأعزة الغالبون، لأن الله معكم بالعونِ و لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم و ما الحياة الدنيا إلا زائلة فانية، وإن تؤمنوا بالله وتتقوه حقَّ تقواه، يعطكم ثواب أعمالكم كاملاً ولا يطلب منكم أن تنفقوا جميع أموالكم، بل الزكاة المفروضة فيها إن يسألكم جميع أموالكم ويبالغ في طلبها، ويلح عليكم في إنفاقها تبخلوا ويظهر ما في قلوبكم من البخل وكراهة ﴿**هَا أَنتُمْ هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ الله**﴾ أي ها أنتم معشر المخاطبين

---

(1) الفارابي، تاج اللغة وصحاح العربية(ج843/5).

(2) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج7057/11).

(3) ابن منظور، لسان العرب(ج188/14).

(4) ابن زنجله، حجة القراءات(ص670).

(5) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج131/26).

تُدعون للإنفاق في سبيل الله، وقد كلفتم ما تطيقون ﴿**فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ**﴾ أي فمنكم من يشح عن الإنفاق ويمسك عنه ﴿**وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ**﴾ أي ومن بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يعود ضرر بخله على نفسه، لأنه يمنعها، واللهُ مستغن عن إنفاقكم ليس بمحتاج إلى أموالكم، وأنتم محتاجون إليه إنكم إن تعرضوا عن طاعته واتباع أوامره، يخلف مكانكم قوماً آخرين يكونون أطوع لله منكم ولا يكونون مثلكم في البخل عن الإنفاق بل يكونوا كرماء أسخياء[1].

سادساً: وجوه البلاغة

1- طباق في قوله تعالى: ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾[2] .

2- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ إما مسوق مساق التوبيخ، أو مساق التنبيه على الخطأ في الشح والحث على بذلِ المال في الجهاد هو محل السياق[3] .

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- أنذر اللَّه تعالى عباده وحذرهم من إهمال حمل المسؤولية والقيام بأعباء التكاليف، فهم إن أعرضوا عن الإيمان والجهاد، استبدل قوما غيرهم وتلك هي سنة اللَّه في خلقه [4] .

2- كره الإسلام البخل مع الجدة والسعة، والقدرة على الإنفاق، فالإسلام دين الوسطية فلا إسراف ولا تبزير، بل التوسط بين ذلك [5] .

3- إن من مات على الكفر لا يغفر اللهُ له لقوله تعالى:﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾[النساء: 48] قال أبو السعود: وهذا حكم يعم كل من مات على الكفر[6] .

---

(1) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير(ج199/3).

(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج136/26).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج137/26).

(4) الزحيلي، التفسير المنير(ج141/26).

(5) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج98/4).

(6) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم(ج102/8).

4- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ تحقير لأمر الدنيا، أي فلا تهنوا في الجهاد بسببها، ووصفها باللعب واللهو هو على أنها وما فيها مما يختص بها لعب، وإلا ففي الدنيا ما ليس بلعب ولا لهو، وهو الطاعة وأمر الآخرة وما جرى مجراه[1] .

5- فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبُنوا عن قتالهم لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم[2] .

6- قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ وعد من الله تعالى بتسديد الأعمال ونجاحها عكس قوله تعالى في أول السورةِ ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

(1) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز(ج123/5).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن(ج187/22).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلة لمقاصد وأهداف سورة الفتح

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الفتح

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(1_7)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(8 _10)

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(11_14)

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(15_17)

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الفتح

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها

أولاً: أسماء السورة

الاسم التوقيفي الذي ورد لهذه السورة هو (الفتح) وهذا ما أشار إليه كبار المفسرين في تفاسيرهم حيث يقول الإمام الطبري في تفسيره الجامع القول في تأويل سورة الفتح إلى نهاية حديثه[1] وكذلك قال ابن عاشور: "سميت في كلام الصحابة سورة الفتح وفي نهاية حديثه يقول نزلت سورة الفتح ولا يعرف لها اسم أخر" [2] وقد روى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن مغفلﷺ، قَال:(قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة، سورة الفتح فرجع فيها، قال معاوية: لو شئتُ أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت)[3] .

ثانياً: وجه تسميتها

سميت هذه السورة بسورة الفتح لافتتاحها ببشرى الفتح المبين قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾[4] واختلفوا في هذا الفتح، فقد أخرج ابن مردويه عن عائشةﷺ قالت قال رسول الله ﷺ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ قَالَ: فتح مَكَّة [5] ، وروى الحاكم بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال هو فتح خيبر[6] ، والأكثرون على أنه صلح الحديبية، روى الإمام البخاري بسنده عن البراء ﷺ، قال: (تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبة فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا) [7] .

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن(ج197/22).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج141/26).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ الفتح، 135/6: رقم الحديث4834].

(4) الزحيلي، التفسير المنير(ج142/26).

(5) انظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور(ج510/7).

(6)[الحاكم: المستدرك، التفسير/الفتح، 499/2: رقم الحديث 3712].

(7)[البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ غزوة الحديبية، 122/5: رقم الحديث4150].

ثالثاً: عدد آياتها

ذكر المفسرون وعلماء القرآن أن عدد آياتها عشرُون وتسع آيَات في جميع العدد ليس فيها اختلاف وكلمها خمس مئة وثلاثون كلمة وحروفها ألفان وأربع مئة وثمانية وثلاثون حرفا ولم أجد خلافاً بين المفسرين في ذلك[1] .

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها

أولاً: مكان وزمان نزول السورة

1- مكان نزول السورة:

روى الواحدي بسنده قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها[2] وكذلك قال ابن عطية في تفسيره، ويقول: وهي بهذا في حكم المدني باعتبار زمن النزول قبل الهجرة أو بعد الهجرة وهو الراجح عند العلماء[3]، وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن أنها مدنية بالإجماع[4] .

2- زمان نزول السورة:

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابلٍ فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب ﷺ ، كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله، فلما نحر هديه حيث أُحصر، ورجع أنزل الله ﷻ، هذه السورة [5] .

ثانياً: ترتيبها

يأتي ترتيب هذه السورة الثامنة والأربعون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الرابعة من المجموعة الخامسة من قسم المثاني وآياتها تسع وعشرون آية وهي مدنيّة [6]، وهي السورة الثالثة عشر بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الصف وقبل سورة التوبة[7] .

---

(1) انظر: الداني، البيان في عدد أي القرآن(ص229).
(2) الواحدي، أسباب النزول(ج255/1).
(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز(ج125/5).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج259/16).
(5) حوى، الأساس في التفسير(ج5335/9).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج325/7).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج142/26).

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها

أولاً: فضائل السورة

روى البخاري بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري حتى كنت أمام الناس، وخشيتُ أن ينزل في قرآن، فما نشبت ان سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، قال فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾[الفتح: 1] [(1)] .

ثانياً: جو نزولها

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول على المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابلٍ فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب ﷺ ، كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله[(2)] وكذلك في جو نزول هذه السورة روى الواحدي بسنده عن ابن عباس ﷺ : إن اليهود شمتوا بالنبي ﷺ والمسلمين لما نزل قوله تعالى: ﴿**وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**﴾،وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى :﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾[(3)] .

(1) [البخاري: صحيح البخاري، فضل القرآن/فضل سورة الفتح، 189/6: رقم الحديث5012].

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج325/7).

(3) الواحدي، أسباب النزول(ج255/1).

المطلب الرابع: مناسبة سورة الفتح لما قبلها وما بعدها من السور

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها(سورة محمد)

وجه اتصال هذه السورة بما قبلها يظهر من عدة جوانب:

1- المحور الرئيسي الذي تحدثت عنه سورة محمد هو الجهاد في سبيل الله، حتى أنها سميت سورة القتال، وهنا تتحدث الآيات عن الفتح والنصر وهو ثمرة من ثمرات الجهاد[1] .

2- في كلتا السورتين (محمد والفتح) بيان أوصاف المؤمنين والمشركين والمنافقين[2] .

3- في سورة محمد أمر النبيﷺ بالاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات وافتتحت هذه السورة بذكر حصول المغفرة[3] .

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها(سورة الحجرات)

تظهر مناسبة هذه السورة لما بعدها من عدة نواحي وهي: [4]

1- ختمت سورة الفتح بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[الفتح:29] وافتتحت سورة الحجرات بقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الحجرات:1] تذكيرا لهم بحرمتهم عند اللَّه تعالى.

2- في كلتا السورتين تشريف وتكريم لرسول اللَّه ﷺ، خصوصا في مطلع كل منهما، والتشريف يقتضي من المؤمنين الرضا بما رضي به الله تعالى ورسوله ﷺ من صلح الحديبية وغيره.

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة

بدأت السورة بمقدمة سمّت صلح الحديبية فتحاً مبيناً، وذكرت حكمة الله في هذا الفتح، وأنها إرادة الله برسوله المغفرة وإتمام النعمة والهداية والنصر، ثم ذكرت إنزال السكينة على المؤمنين قبل الصلح وبعده، وأن حكمة ذلك زيادة الإيمان في قلوبهم من أجل أن تكون النتيجة إدخال المؤمنين الجنة، وتعذيب الكافرين في النار، وذكرت الحكمة من بعثة النبي ﷺ وهي هداية الناس وهكذا قدّمت السورة هذه المعاني الإجمالية ليعرف منذ البداية أن ما حدث يوم

---

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ج274/18).

(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج143/26).

(3) المرجع السابق، ص143.

(4) الزحيلي، التفسير المنير(ج212/26).

الحديبية كان فتحاً، وأن عاقبته بالنسبة لرسول الله ﷺ وبالنسبة للمؤمنين هي الخير كله فالقرآن الكريم يسجل لنا كل ما هو خالد تحتاجه الأمة الإسلامية أفراداً وجماعة، في سيرها خلال العصور [1] .

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة

1- هذه السورة كسابقتها مدنية، والسور المدنية كما هو معروف تحدثت عن المنافقين الذين ظهروا في المدينة، وعنيت بشؤون التشريع في الجهاد والعبادات والمعاملات[2] .

2- تفتتح السورة بهذا الفيض الإلهي على رسوله ﷺ فتح مبين، ومغفرة شاملة، ونعمة تامة، وهداية ثابتة، ونصر عزيز، إنها جزاء الطمأنينة التامة لإلهام الله وتوجيهه، والاستسلام الراضي لإيحائه وإشارته، والتجرد المطلق من كل إرادة ذاتية، والثقة العميقة بالرعاية الحانية يرى الرؤيا فيتحرك بوحيها [3] .

3- الذنب الذي غفر لرسول الله ﷺ من المعلوم بالضرورة أنه ليس من الكبائر في شيء، وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين[4] .

4- بينت الآيات الحكمة والهدف من إرسال النبي ﷺ وعامة الأنبياء حيث قال تعالى:﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[الفتح:8] [5] .

5- بينت الآيات الكريمة فضل أهل بيعة الرضوان عند الله تعالى، وكرامة الله لهم برضاه عنهم، فمن سابق للإيمان والبيعة ليس كغيره ممن لحق بعد ذلك بالمسلمين، فلا يستون عند الله تعالى [6] .

6- تحدثت الآيات عن خصائص الجماعة الإسلامية في تعاطفها مع بعضها وفي شدتها على الكافرين، وفي إقبالها على الله بالعبادة، وإخلاصها له في النية، كما فصّلت فيما تقتضيه عملية الإيمان من نصرة لرسول الله ﷺ وتعظيمه.

---

(1) انظر: حوى، الاساس في التفسير (ج5390/9).
(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج143/26).
(3) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3316/6).
(4) الجزائري، أيسر التفاسير (ج101/4).
(5) انظر: حوى، الاساس في التفسير (ج5338/9).
(6) الجزائري، أيسر التفاسير (ج108/4).

7- تضمن هذه السورة بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية، وأنه نصر وفتح، فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين، وأزال حزنهم من صدهم عن الاعتمار بالبيت[1] .

8- فصلت السورة في قضايا تتعلّق بالكفر وأخلاقه ودوافع أهله، وفصّلت في النفاق وأخلاق أهله ودوافعهم، وفصّلت في كيفية تعامل الجماعة المسلمة مع المنافقين، وفصّلت في سنن الله في عملية الصراع بين الكفر والإيمان[2] .

9- بيان حكم المحصر وهو من منع دخول المسجد الحرام وهو محرم بحج أو عمرة، فإنه يتحلل بذبح هدي ويعود إلى بلاده ، ويذبح الهدى حيث أُحصِر[3] .

10- بينت الآيات حكم من لا تؤخذ منهم الجزية، وهو أحد الأمرين، إما المقاتلة وإما الإسلام، لا ثالث لهما[4] .

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج142/26).

(2) انظر: سعيد حوى، الاساس في التفسير(ج5391/9).

(3) الجزائري، أيسر التفاسير(ج112/4).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج273/16).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية (1_7)

المطلب الأول: الذنب الذي غفر لرسول اللهﷺ ليس من الكبائر

قال تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[الفتح].

أولاً: أسباب النزول

1- روى الواحدي بسنده عن ابن عباسﷺ: إن اليهود شمتوا النبي ﷺ والمسلمين لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[الأحقاف:9] قالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح] [1] .

2- روى الإمام البخاري بسنده عن البراء ﷺ، قال:(تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربعة عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبة فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا)[2] .

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿فَتَحْنَا﴾ الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق، يقال فتحتُ الباب وغيره فالفتحُ والفِتاحة: الحكم، والله تعالى الفاتح أي الحاكم، والفتح: النصر والاظفار [3] .

2- ﴿مُّبِينًا﴾ البيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بَياناً اتَّضَحَ فهو بَيِّنٌ، والجمع أبيناء، مثل هين وأهيناء، وكذلك أبان الشيء فهو مُبينٌ أبنتهُ أنا أي أوضحته، واستبان الشيء: وضح[4] .

3- ﴿وَيُتِمَّ﴾(تَمَّ) التاء والميم أصل واحد منقاس وهو دليل الكمال، يقال تم الشيء إذا كمل، وأتممته أنا أي أكملته على أحسن وجه[5] .

---

(1) انظر: الواحدي، أسباب النزول(ج255/1).

(2) سبق تخريجه، ص105.

(3) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة(ج469/4).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج2083/5).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج339/1).

4- ﴿عَزِيزًا﴾ العين والزاء أصل واحد يدل على الشدة والقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، والله تعالى هو من العزيز، ويقال عز الرجل بعد ضعف، وأعززته أنا جعلته عزيزاً[1] .

ثالثاً: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ إنا قضينا لك بفتح مكة وخيبر أو صلح الحديبية وغيرهما ثمرة من ثمرات جهادك وصبرك، وهو أمر واقع لا محالة، فاحمد ربك واشكره ليغفر لك بذلك، وبجهادك وصبرك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك بنصرك على أعدائك وعلى كل من ناوأك، ويهديك صراطاً مستقيماً، أي ويرشدك إلى طرق لا اعوجاج فيه يفضي بك وبكل من يسلكه إلى الفوز في الدنيا والآخرة، وينصرك ربك على أعدائك وخصوم دعوتك نصراً عزيزاً إي ذا عز لا ذل معه[2] .

رابعاً: وجوه البلاغة

1- طباق بين قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] .

خامساً : تحليل المقاصد والأهداف

1- افْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِحرف (إنّ) ناشىء عَلَى بيان ما أحل بالمسلمين من الكآبة، على أن أجيب المشركون إلى سؤالهم الهدنة[4] .

2- بشّر اللَّه نبيه والمؤمنين بفتح عظيم مبين واضح، وهو في رأي الجمهور كما تقدم صلح الحديبية الذي كان سبباً لفتح مكة وانتشار العلم النافع والإيمان[5] .

3- الذنب الذي غفر لرسول الله ﷺ من المعلوم بالضرورة أنه ليس من الكبائر في شيء، وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين[6] .

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج38/4).
(2) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج95/5).
(3) الزحيلي، التفسير المنير(ج148/26).
(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج143/26).
(5) انظر: المرجع السابق، ص152.
(6) الجزائري، أيسر التفاسير(ج101/4).

4- اشتملت هذه الآية على وجوه من الأفضلية أكرم بها الله تعالى نبيّه وخصّه بها من الفتح والظّفر على النّفس والعدو، وتيسير ما انغلق على غيره، والمغفرة، وإتمام النعمة والهداية والنصرة ولكلّ من هذه الأشياء خصائص عظيمة[1] .

5-غالباً ما يطلق الفتح على النصر ولكن الفتح أعظم من النصر وَقَدْ عُطِفَ النَّصْرُ عَلَى الْفَتْحِ فِي قَوْلِهِ تعالى:﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[الصَّفِّ: 13] وَلَعَلَّ الَّذِي حَدَاهُمْ عَلَى عَدِّ النَّصْرِ مِنْ مَعَانِي مَادَّةِ الْفَتْحِ أَنَّ فَتْحَ الْبِلَادِ هُوَ أَعْظَمُ النَّصْرِ[2] .

المطلب الثاني: الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي

قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الفتح:4].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ الوداع والوقار، وسكن داره يسكُنها بالضم سُكنى، والسُكان جمع ساكن، والمسكِن بكسر الكاف المنزل والبيت، وأهل الحجاز يفتحون الكاف[3] .

2- ﴿جُنُودُ﴾ الجُنْد: معروف، والجُنْد الأَعوان والأَنصار، والجُنْد: العسكر، والجمع أَجناد [4] ، تأويله أن جميع ما خلق الله في السَّمَاوَات والأرض جنود له[5] .

ثانياً: المعنى الإجمالي

تذكر الآيات فضل الله على المؤمنين من أصحابه ﷺ، فقال الله فيه هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين، ووضع فيها الطمأنينة والثبات بعد التزعزع والاضطراب الذي جعل عمر يقول: ألسنا مسلمين ألسنا على الحق فعلام نعطى الدنية في ديننا فأنزل الله الطمأنينة في قلوبهم وأثلج صدورهم ببرد اليقين، وشرحها ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، ويقيناً على يقينهم، ولا

(1) انظر: القشيري، لطائف الإشارات(ج419/3).
(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج143/26).
(3) انظر: الرازي، مختار الصحاح(ج151/1).
(4) ابن منظور، لسان العرب(ج132/3).
(5) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه(ج20/5).

غرابة في ذلك فلله جنود السموات والأرض، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وكان الله عليماً كامل العلم بجميع الأمور حكيما كامل الحكمة فلا يضع الشيء إلا في موضعه[1] .

ثالثاً: المناسبة

بعد أن أخبر اللَّه تعالى بفضله على نبيه ﷺ وبأنه ينصر رسوله، أبان بعض أفضاله على المؤمنين من أصحابه وبعض أسباب النصر، وهو تثبيت أقدام المؤمنين واطمئنان قلوبهم في ميادين المعارك، وأردفه ببيان سنته في تسليط بعض جنوده على بعض، ثم رفع معنويات الجند المؤمنين بوعدهم بالخلود في الجنان، وإيعاد الكافرين والمنافقين المعادين للمؤمنين بالعذاب الشديد، والغضب عليهم وطردهم من رحمته[2] .

رابعاً: وجوه البلاغة

استعارة مكنية في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ حيث شبه السكينة بالشيء المادي الذى يُنزل.

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الإيمان يزيد، دلت عليه آيات أخر من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [الأنفال: 2]، والذي عليه أهل السنة والجماعة، وقد دل عليه الوحي من الكتاب والسنة كما تقدم [3] .

2- السكينة جند من جنود الله تعالى يرسلها على من يشاء من عباده ليشرح بها الصدور ويثبت بها القلوب

3- أنزل الله تعالى السكينة على المؤمنين ليزيل الخوف والشك من قلوبهم بعد الحديبية وكان بعد ذلك النصر والفتح فكأن الآيات تتحدث أن النصر المعنوي على النفس يجب أن يسبق النصر المادي على الأعداء[4] .

4- يجب على المسلم أن يتيقن أن الله تعالى يملك جميع وسائل النصر وله القوة القاهرة في السماوات والأرض وما هذا النصر إلا بعض مما لله من القوة والنصر.

---

(1) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج480/3).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج155/26).

(3) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج394/7).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج149/26).

5- ختمت الآيات بقوله: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لأن الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير، فإذا كان ما أمرهم به، ونهاهم عنه، لا لحاجة له في نفسه ولا منفعة، ولكن لحاجتهم[1] .

6- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ كان ويكون، تدل على الوجود بهذه الصفة لا معينة وقتا ماضيا[2] .

المطلب الثالث: بيان مكافأة الله لرسوله والمؤمنين على صبرهم وجهادهم

قال تعالى:﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[الفتح:5].

أولاً: أسباب النزول

أخرج الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك ﷺ في قوله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح]، قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله تعالى:﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[الفتح: 5][3] .

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿خَٰلِدِينَ﴾ الخُلد بالضم: البقاء والدوام كالخلود، وفي الأصل الثبات المديد دام أم لم يدم، والخلد أيضاً: الجنة[4] .

2- ﴿وَيُكَفِّرَ﴾ التكفير، كفر الله تعالى عن سيئاته: أي سترها بالعفو عنه، قال تعالى:﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ﴾[البقرة: 271] [5] .

ثالثاً: المناسبة

تحدثت الآيات السابقة لهذه الآية عن أنزال الله تعالى السكينة والطمأنينة على قلوب المؤمنين، من أجل زيادة وتثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين، وهنا بينت الآيات نتيجة هذه السكينة التي زادة الإيمان، وهي أدخال المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار[6] .

---

(1) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة(ج294/9).

(2) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج127/5).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/الحديبية، 5/ 125: رقم الحديث4172].

(4) أبو البقاء الحنفي، الكليات(ج434/1).

(5) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج5869/9).

(6) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج394/7).

رابعاً: المعنى الإجمالي

أي ليدخلهم على طاعتهم وجهادهم حدائق وبساتين ناضرة، تجري من تحتها أنهار الجنة ماكثين فيها أبداً ﴿**وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾ أي يمحو عنهم خطاياهم وذنوبهم، ﴿**وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ أي وكان ذلك الإدخال في الجنات والتكفير عن السيئات، فوزاً كبيراً وسعادةً لا مزيد عليها، إذ ليس بعد نعيم الجنة نعيم[1] فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات، ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات.

خامساً: وجوه البلاغة

قال تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ﴾ بينهما ما يسمى بالمقابلة [2] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- وذكر المؤمنات مع المؤمنين هنا لدفع توهم أن يكون الوعد بهذا الإدخال مختصاً بالرجال دون النساء، فللمؤمنات حظ في ذلك؛ لأنهن لا يخلون من مشاركة في تلك الشدائد، ممن يقمن منهن على المرضى والجرحى وسقي الجيش وقت القتال، ومن صبرهن على غيبة الأزواج والأبناء[3] .

2- تكفير السيئات إنما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة، لأن الواو لا تقتضي الترتيب، وقيل إن تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الإدخال بالذكر بمعنى أنه من أهل الجنة[4] .

---

(1) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج203/3).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج154/26).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج152/26).

(4) انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج155/4).

المطلب الرابع: بيان أن الكافرين يحزنون ويغمون لنصرة المؤمنين

قال تعالى:﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفردات

1-﴿ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ سوأ، ساءه، يسوءه، سوءاً بالفتح، ومساءةً ومسائيةً: نقيض سره، والاسم السوء بالضم، وقوله تعالى: ﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾ يعني الهزيمة والشر[1] .

2- ﴿دَآئِرَةُ﴾ الدائرة: الحلقة، والدائرة: الشيء المستدير، ويقال عليهم دائرة السوء: أي الهزيمة والغلبة[2].

3- ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ قال أهل اللغة لعنهم: أي أبعدهم الله، أي بمعنى الطرد والإبعاد، واللعنة في القرآن العذاب، ومن أبعده الله لم تلحقه رحمته وخَلد في العذاب[3] .

ثانياً: القراءات

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ بالضم، وقرأ الباقون بالنصب، وقال اليزيدي (**ٱلسَّوْءِ**) بالضم الشر والعذاب والبلاء، وحجته قوله والسوء على الكافرين يعني العذاب، والسوء بالفتح الفساد[4] .

ثالثاً: المناسبة

لما فرغ مما وعد به صالحي عباده، ذكر مما يستحقه غيرهم، فقال:﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ وهو معطوف على(لِّيُدْخِلَ)، أي يعذبهم في الدنيا بما يصل إليهم من الهموم والغموم، بسبب ما يشاهدونه من ظهور كلمة الإسلام وقهر المخالفين له، وبما يصابون به من القهر والأسر، وفي الآخرة بعذاب جهنم[5] .

---

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج55/1).

(2) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج2192/4).

(3) الهروي، تهذيب اللغة(ج240/2).

(4) ابن زنجله، حجة القراءات(ص671).

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير(ج54/5).

رابعاً: المعنى الإجمالي

دبر سبحانه ما دبر من تسليط المؤمنين على الكافرين، ليعرفوا نعمة الله ﷻ في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة، ويكفر عنهم سيئاتهم، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً، وفعل ذلك أيضا ليعذب المنافقين والمنافقات لغيظهم من تمام النعمة على المسلمين، ولا شك أن ازدياد الإيمان بالعمل مما يغيظ المنافقين والمشركين، ولعل تقديم المنافقين والمنافقات على المشركين والمشركات لأنهم أكثر ضرراً على المسلمين، أعنى بهما لظانين بالله ظن السوء، أي ظن الأمر الفاسد المذموم، وهو أن الله ﷻ لا ينصر رسوله والمؤمنين على هؤلاء وحدهم دائرة السوء، وما يتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم، ودائر عليهم، وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته شر طردة، وأعد لهم جهنم، وساءت مصيرا، ولا عجب في ذلك فهم وإن كثروا عدة وعددا فلله جنود السموات والأرض، وكان الله عزيزاً لا يغالب، حكيماً في كل أفعاله[1] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- وفي تقديمِ المنافقينَ على المشركين مالا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب[2] .

2- قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لأن الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لأنه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر[3] .

3- الظن الذي ظنه الكافرون والمنافقون أن كلمة الكفر تعلو كلمة الإسلام ومما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله،﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾[4] .

4- ﴿**عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ**﴾ أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم، حائقٌ بهم، والمعنى: أن العذاب والهلاك الذي يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم[5] .

---

(1) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج481/3).

(2) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم(ج105/8).

(3) انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل(ج155/4).

(4) انظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن(ج91/13).

(5) انظر: الشوكاني، فتح القدير(ج54/5).

5- دلت هذه الآيات أن الله تعال يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات وهي: غضبه، ولعنته، ونار جهنم[1] .

6- التذييل الآية السابقة بقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، وهنا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ لأن المقصود أولا التدبير التام لأمر الخلق فيناسب العلم والإحاطة، وهنا المراد تهديد المنافقين والمشركين فيناسبه العزة والغلبة[2] .

(1) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج395/7).

(2) انظر: حجازي، التفسير الواضح(ج481/3).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية (8_10)

المطلب الأول: تقرير نبوة محمد ﷺ وعلو شرفه ومقامه

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفرادات

1- ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ تَعْزِرُوه، مِنْ عَزَرْتُه عَزراً بمعنى عَزَّرْتـه تَعزيرًا، والتعزير في كلام العرب: التوقير، والتعزيرُ: النصر باللسان والسيف[1]، ومعنى تعزروه: تعظموه وتكبروه، قاله ابن عباس[2].

2- ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وقَّره: أي أجلَّه وعظَّمه[3]التوقير يستعمل في معنى التعظيم، الوَقار: السكينة والوداعة، ورجل وَقُور ووَقَّارٌ ومتوقِّر: ذو حِلمٍ ورَزانة[4].

3- ﴿بُكۡرَةٗ﴾ البُكرة: الغداة، والجمع البُكَر، يقال: أتيته بُكْرَةً، وأتيته في البُكْرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨﴾ [القمر: 38] [5] .

4- ﴿وَأَصِيلًا﴾ الأَصِيلُ: الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُلٌ و آصَالٌ و أصَائِلُ، كأنه جمع أصيلة وأصْلانٌ أيضاً، مثل بعير وبعران، وقد آصَلَ دخل في الأصيل وجاء مُؤْصِلاً ورجل أصيلُ الرأي أي محكم الرأي[6] .

ثانياً: القراءات

قال تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيب في الأربعة، أي بالياء بدل التاء، وقرأ الباقون بالخطاب[7].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب(ج562/4).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج129/5).

(3) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج7261/11).

(4) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة(ج216/9).

(5) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج600/1).

(6) الرازي، مختار الصحاح(ج18/1).

(7) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج375/2).

ثالثاً: المناسبة

بعد أن بينت الآيات السابقة عذاب المنافقين والمنافقات الذين ظنوا بالله ورسوله ظن السوء، واعتقدوا أن النبي ﷺ وأصحابه سيغلبون ولن تقوم لهم قائمة، فذكرهم الله تعالى في هذه الآيات بالهدف الذي بعث النبي ﷺ من أجله، وهو الشهادة على الخلق وعلى أمته بالبلاغ، وتبشير من أطاعه بالجنة، وإنذار من عصاه بالنار[1] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ إنا أرسلناك يا محمد شاهد صدق تبلغ الدعوة الإلهية لإنقاذ البشرية، وتبشر من اهتدى إلى الصراط المستقيم بجنة عرضها السموات والأرض، وتنذر من حاد وتردى في الهوى وسلك سبيل الغي والضلال، لتنذره بجهنم ونارها التي أعدت للكافرين، وإنما فعل ذلك ربكم لتؤمنوا بالله ورسوله، وتعزروه وتنصروا رسوله، وتوقروه وتعظموه، وتسبحوه وتنزهوه وتصلوا له سبحانه وتعالى بكرة وأصيلا في الغداة والعشى، وهما طرفا النهار، وما بينهما تبع لهما، ولا شك أن نصرة رسول الله ﷺ نصرة لله، والتفاني في تبليغ دعوة الله من أكبر الدواعي لرضا الله ورضا رسوله[2] .

خامساً: البلاغة

1- طباق في قوله تعالى:﴿وَمُبَشِّرًا﴾ و﴿ وَنَذِيرًا﴾[3] .

2- البكرة: أول النهار، والأصيل آخره، وهما كناية عن استيعاب الأوقات بالتسبيح والإكثار منه، كما يقال شرقاً وغرباً لاستيعاب الجهات، وقيل التسبيح هنا: كناية عن الصلوات الواجبة[4] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- تقرر الآيات نبوة محمد ﷺ وتعلن عن شرفه وعلو منزلته ومقامه[5] .

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج162/26).
(2) انظر: الحجازي، التفسير الواضح(ج482/3).
(3) الزحيلي، التفسير المنير(ج160/26).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج156/26).
(5) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج98/5).

2- إن مهام النّبي ﷺ المذكورة هنا هي ثلاث: الشهادة على الخلق وعلى أمته بالبلاغ، وتبشير من أطاعه بالجنة، وإنذار من عصاه بالنار[1] .

3- كلمة (شاهداً) كلمة عامة تجمع شهادة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة، وشاهداً على الرّسل والكتب وكذلك شاهدا بوحدانيتنا وربوبيتنا[2] .

4- إن الغاية من إرسال النبي ﷺ هو الوصول إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، ونصرة دين اللَّه ورسوله، وتعظيم اللَّه وإجلاله، وتسبيحه بالقول وتنزيهه من كل قبيح على الدوام، أو في أول النهار وآخره، أو فعل[3] .

5- وقدم منها وصف الشاهد لأنه يتفرع عنه الوصفان بعده، فالشاهد: المخبر بتصديق أحد أو تكذيبه فيما ادعاه أو ادعي به عليه وتقدم في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143][4] .

6- وتعزروه: بمعنى تعظموه ليس على النصر والإعانة، ولكن على التعظيم، أو على الطاعة، استدل بما قال في سورة الأعرف ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾[الأعراف:157]، ذكر التعزير وعطف النصر عليه؛ والراجح أن يكون التعزير هو الطاعة له، والتوقير هو التعظيم، وفي الطاعة له تعظيمه، واللَّه أعلم[5] .

7- أجمع أهل التأويل أن قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾ راجع إلى اللَّه تعالى، وكذلك ذكر في بعض القراءة (ويسبحون اللَّه بكرة وأصيلا)، والتسبيح هو التنزيه في الأفعال والأقوال[6] .

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير(ج164/26).
(2) المرجع السابق، ص164.
(3) انظر: القشيري، لطائف الإشارات(ج420/3).
(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج155/26).
(5) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة(ج297/9).
(6) انظر: المرجع السابق، ص298.

8- بكرة وأصيلاً: صرف أهل التأويل البكرة إلى صلاة الفجر، والأصيل إلى صلاة المغرب والعشاء، ولكن جائز أن تكون البكرة كناية عن النهار، والأصيل كناية وعبارة عن الليل، فكأنه يقول: سبحوه بالليل والنهار جملة في كل وقت، واللَّه أعلم[1] .

المطلب الثاني: وجوب الوفاء بالعهد، وحرمة نقضه

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ والمبايعة والتبايع عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره[2] .

2- ﴿نَّكَثَ﴾ نكث النون والكاف والثاء أصل صحيح يدل على نقض شيء، ونكث العهد ينكثه نكثاً، وانتكث الشيء انتقض، وقال قولاً لا نكيثة فيه أي لا خلفة[3] .

3- ﴿أَوۡفَىٰ﴾ الوفاء ضد الغدر، ووفى الشيء يفِي بالكسر وفياً، أي تم وكثر، والوفاء إتمام العهد وإكمال الشرط، ويقولون أوفيتك الشيء إذا قضيته إياه وافياً[4] .

ثانياً: القراءات

1- قوله تعالى: ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر فسنؤتيه بالنون الله أخبر عن نفسه، وقرأ الباقون بالياء أي فسيؤتيه الله، وحجتهم ما تقدم وهو قوله بما عاهد عليه الله فكذلك فسيؤتيه لتقدم ذكره[5] .

---

(1) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة(ج298/9).
(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج370/20).
(3) الرازي، مختار الصحاح(ج343/1).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج475/5).
(5) ابن زنجله، حجة القراءات(ص672).

2- قوله تعالى: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ قرأ حفص بما عاهد عليه الله مضمومة الهاء على أصل حركتها، وقرأ الباقون عليه بكسر الهاء لمجاورة الياء وقد ذكرت في سورة البقرة[1] .

ثالثاً: المناسبة

بعد أن ذكر الله تعالى هدف بعثة النبي ﷺ وأمر بتعظيمه وتوقيره ونصرته، عقب بذكر ما يترتب على هذه النصرة وهذه الطاعة للنبي ﷺ وهي البيعة فائدة بعثته ليرتب عليه ذكر البيعة، فذكر بيعة الرضوان بين النّبي ﷺ والمؤمنين، وأشاد بإخلاص المبايعين ونصرة دين اللّه تعالى، وأوضح جزاء ناقض العهد، ومن أوفى بالعهد[2] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

قال الله تعالى لنبيه ﷺ إن الذين يبايعونك بالحديبية من أصحابك على أن لا يفرّوا عند لقاء العدوّ، ولا يولوهم الأدبار، إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له، ثم يعقب تعالى فمن نكث بيعته ونقضها فلم ينصرك على أعدائك، وخالف ما وعد ربه، فإنما ينقض بيعته، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضرّ بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وفى ببيعته ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدوّ في سبيل الله ونُصرة نبيه على أعدائه فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وذلك أن يُدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله، ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الأيمان[3] .

خامساً: البلاغة

1- استعارة تصريحية تبعية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، شبّه المعاهدة على الجهاد بالأنفس بدفع السلع مقابل الأموال، وأستعير اسم المشبّه به للمشبّه، فوجه الشّبه اشتمال كل على المبادلة[4] .

---

(1) ابن زنجله، حجة القراءات(ص672).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج162/26).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن(ج209/22).

(4) الزحيلي، التفسير المنير(ج160/26).

2- صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ لاستحضار حالة المبايعة الجليلة، لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول هذه الآية، مع أنها قد أنقضت، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾[هود: 38][1] .

3- استعارة مكنية في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، شبه اطّلاع اللَّه على مبايعتهم بملك وضع يده على أيدي رعيته، على طريق الاستعارة المكنية، أي أن اللَّه شبّه بالمبايع، وذكر اليد قرينة، وإسنادها له تخييل، وفي ذكر اليد مع أيدي الناس مشاكلة[2] .

4- طباق بين قوله تعالى: ﴿نَّكَثَ﴾ و ﴿أَوْفَىٰ﴾[3] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- روي عن مجاهد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ قال: يوم الحديبية[4] وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سَمُر بالحديبية، وكان الصحابة ﷺ الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ ألف وثلاثمائة، وقيل: أربعمائة، وقيل: خمسمائة، والأوسط أصح [5]لحديث البخاري الذي أخرجه بسنده عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة[6].

2- المقصود ب (يبايعونك) أي العهد على الطاعة والنصرة كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: 12] وهي هنا بمعنى العهد على النصرة والطاعة[7] .

3-إن الذين بايعوا النبي ﷺ بالحديبية على قتال قريش ومناصرته فقد بايعوا اللَّه تعالى، فبيعتهم للنبي ﷺ إنما هي بيعة اللَّه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:80] [8] .

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج157/26).

(2) الزحيلي، التفسير المنير(ج160/26).

(3) المرجع السابق، ص160.

(4) انظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور(ج517/7).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج330/7).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ البيعة تحت الشجرة، 136/6: رقم الحديث4840].

(7) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج159/26).

(8) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج267/16).

4- وسمّيت بيعة لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[التوبة:111] ولأنها في تواجب الجنة بالشّهادة كالبيع[1] لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، والعقد كان مع النبي ﷺ .

5- من نكث البيعة ولم يوف بما بايع عليه فإنما نكثه راجع عليه لأنه يحرم نفسه الأجر الجزيل، والعطاء العظيم في الآخرة[2] .

(1) انظر: النيسابوري، إيجاز البيان في معاني القرآن(ج750/2).

(2) انظر: مكي بن ابي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية(ج6945/11).

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(11_14)

المطلب الأول: إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك دلالة على أنه كلام الله

قـــــال تعـــــالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾ العرب العاربة: الصريح منهم، والأعاريب: جماعة الأعراب، ورجل عربيّ وأعرب الرجل: أفصح القول والكلام، وهو عربانيّ اللسان، أي: فصيح، والأعراب هم الذين يسكنون البادية[1] .

2- ﴿ضَرًّا﴾ الضُّرُّ: ضد النفع: والضر الهُزَال وسوء الحال، والضَّرَرُ: النُّقصان، تقول دخل عليه ضرر في ماله[2] .

3- ﴿نَفْعًا﴾ النفْعُ: ضد الضر، نَفَعَه يَنْفَعُه نَفْعاً ومَنْفَعةً، ومن أَسماء اللَّهِ تَعَالَى النافِعُ: هو الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه[3] .

ثانياً: القراءات

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ اختلف القراء في ضراً، فقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الضاد، وقرأ الباقون بفتحها[4] .

---

(1) الفراهيدي، العين(ج128/2).

(2) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة(ج314/11).

(3) ابن منظور، لسان العرب(ج358/8).

(4) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج375/2).

ثالثاً: المناسبة

ولما ذكر سبحانه وتعالى أهل بيعة الرضوان، وأضافهم إلى حضرة الرحمن، جاءت هذه الآيات مباشرة بعدها لتبين حال من غاب عن تلك البيعة، لتكشف أمر نفاقهم وتأكد فساد عذرهم الذي قالوه للنبي ﷺ بأن شغلتهم أموالهم وأولادهم وذكر الله تعالى هنا قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وهو دليل على كذبهم وافتراءهم، وأن ظاهرهم خلاف باطنهم[1] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

يخبر الله تعالى ويكشف لنبيه ﷺ كذب وافتراء الذين تخلفوا عن صلح الحديبية، من الأعراب الذين هم حول المدينة عندما طلب النبي ﷺ منهم الخروج معه إلى مكة، فعتزروا بأكاذيب وأوهام ليس لها صحة من القول، فقالوا للنبي ﷺ شغلتنا الأموال والأولاد عن الخروج معك فاستغفر لنا، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ أن هذه الادعاء كاذب وما هي إلا من ألسنتهم وليس من حقيقة قلوبهم فهم كاذبون في اعتذارهم، ثم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن ينبههم بأنه من لكم إن أراد الله بكم الضر أو النفع، وختمت الآيات بتذكر المخلفون أن الله تعالى خبير بما يصنعون[2] .

خامساً: البلاغة

1- طباق بين قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ **و قوله** ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[3] .

2- جاءت الآيات بلفظ ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ توكيداً وفرقاً بين المجاز والحقيقة[4] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- قال مجاهد وابن عباس ﷺ المخلفون هم أعراب غفار[5]

---

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ج299/18).

(2) انظر: السيوطي، تفسير الجلالين(ص680).

(3) الزحيلي، التفسير المنير(ج166/26).

(4) مكي بن ابي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية(ج6946/11).

(5) غِفَار بن مُلَيْل: بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن عدنان، كانوا حول مكة ومن مياههم: بدر، ومن أوديتهم: ودّان وقد قاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين، وعددهم ألفاً. انظر: عمر عبد الغني، معجم قبائل العرب(ج889/3).

ومزينة [1] وجهينة[2] وأسلم [3] والدليل هم الأعراب الذين كانوا حول المدينة، تخلفوا عن الرسول ﷺ حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح، بعد أن استنفارهم ليخرجوا معه[4] .

2- أطلق الله تعالى عليهم لفظ المخلفون لأنهم تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ وهي صفة ذم، لأن من كان في مقدمة الصفوف يختلف عن الذي بمؤخرة الصفوف، فكيف بحال من هو خارج وخلف الصفوف[5] .

3- قال تعالى:﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ هذا تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس ما يقولون وإنما هو الشك في الله والنفاق[6] .

4- طلبهم للاستغفار أيضا، ليس بصادر عن حقيقة، لأنه بغير توبة منهم، ولا ندم على ما سلف منهم من معصية التخلف، وفيه إيذان بأن اللسان لا عبرة به، ما لم يكن مترجماً عن اعتقاد الحق[7] .

---

(1) مُزيْنة: بطن من مضر، من العدنانية وهم بنو عثمان وأوس وبني عمرو بن أدّ بن طابخة، ومزينة أمهما عرفوا بها، وهي مزينة بنت كلب بن وبرة وقد قاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين، وعددهم ألف، وقد اشتركوا في فتح مكة مع خالد ابن الوليد، وكان لهم صنم يقال له: نهم، وبه كانت تسمى عبد نهم. انظر: المرجع السابق، ص1083.

(2) جُهيْنَة بن زيد: حي عظيم من قضاعة، من القحطانية، وهم: بنو جهينة ابن زيد بن ليث بن سود ، كانت مساكنهم ما بين الينبع ويثرب، في متسع من برية الحجاز، ومن جبالهم: الأشعر والأجرد وقد قاتلوا مع خالد بن الوليد سنة 8 هـ في فتح مكة، فكانوا في المجنبة اليمنى، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين. انظر: المرجع نفسه، (1ج/216).

(3) أسلم بن أَفْصى: بطن من خزاعة وهم: بنو أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو ابن عامر، من القحطانية، من قراهم وبرة وهي قرية ذات نخيل من أعراض المدينة. انظر: المرجع نفسه، ص26.

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج268/16).

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج161/26).

(6) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل(ج336/3).

(7) انظر: القاسمي، محاسن التأويل(ج493/8).

المطلب الثاني: حرمة ظن السوء في الله ﷻ ووجب حسن الظن به تعالى

قال تعالى:﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿يَنقَلِبَ﴾ قلبت الشيء فانقلب، وانقلب: أي رجع قال تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144] والمنقلَب: المرجع[1] .

2- ﴿وَزُيِّنَ﴾ الزين نقيض الشين، زانه الحُسْنُ يزينه زَيْنا، وازدانتِ الأرضُ بعُشبِها، وازينت وتزينت والزّينة اسم جامع لكل ما يتزين به[2] .

3- ﴿بُورًا﴾ البور: مصدر بار الشَّيْء يبور بوراً إذا هلك، والرجل بور أَي هالك، الواحد والجمع فيه سواء، والبور في اللغة: الشيء الذي لا قيمة له ولا فائدة فيه[3] .

4-﴿مُلْكُ﴾ المُلك: هو الله ﷻ ، وهو ملِك كل شيء والقادر عليه، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[الملك:1] ومُلْك عباده: ما أعطاهم وملّكهم[4] .

ثانياً: المناسبة

جاءت هذه الآيات لتفضح وتبين للنبي ﷺ العلة التي تخلفوا من أجلها عن الجهاد في سبيل الله، حيث أنهم كذبوا على النبي ﷺ كما ذكرت الآيات السابقة لهذه الآيات بقولهم : شغلتنا الأموال والأهلون فاستغفر لنا، فكشف الله كذبهم بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى

(1) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج5617/8).
(2) الفراهيدي، العين(ج387/7).
(3) الأزدي، جمهرة اللغة(ج330/1).
(4) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم(ج6363/9).

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ فجاءت هذه الآيات، لتبين خبايا قلوبهم، وأسبابهم الحقيقية وراء عدم الخروج مع النبي ﷺ وهو ظنهم السوء بعدم رجوع النبي وأصحابه إلى أهليهم سالمين[1] .

ثالثاً: المعنى الإجمالي

خاطبة الآيات الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى مكة لما اعتذروا وكذبوا في اعتذارهم، فأكذبهم الله ثم أعلمهم بما علم من اعتقادهم في رسول الله ﷺ والمؤمنين، فقال: بل ظننتم أيها الأعراب أن النبي ﷺ والمؤمنين لا يرجعون إلى المدينة أبداً من غزوتهم، فلذلك تخلفتم عن الخروج معهم لأنكم شغلتكم أموالكم وأهلوكم كما زعمتم في عذركم، وزين لكم الشيطان ذلك، وقال لكم لا يرجع النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة أبداً، وأنهم سيهلكون في غزوهم، وظننتم أن الله لا ينصر نبيّه ومن أطاعه، وذلك ظن السوء، ثم قال: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي: هلكى باعتقادكم وظنكم[2]، ثم ختمت الآيات ببيان قدرة الله تعالى وتحدثت عن معلوم من الدين بالضرورة، وهي أن الله سبحانه وتعالى له ملكوت السماوات والأرض، فهو سبحانه المتصرف المالك للسماوات والأرض وما بينهما، فبملكه وتصرفه يغفر لمن يشاء ويعذب ويعاقب من يشاء، وكان وما زال الله غفوراً أي واسع المغفرة رحيماً أي واسع الرحمة، شملت رحمته السماوات والأرض[3] .

رابعاً: البلاغة

1- التزين: هو التحسين، وهو كناية عن قبولهم ذلك، وإنما جعل ذلك الظن مزيناً في اعتقادهم، لأنهم لم يفرضوا غيره من الاحتمالات، وهو أن يرجع الرسول ﷺ سالماً[4] .

2- قال تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ أقيم الظاهر مقام الضمير للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين بالله والإيمان برسوله فهو كافر، ونكّر لأنها نار مخصوصة كما نكر نَاراً تلظى[5] .

3- طباق في قوله تعالى:﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وبين ﴿يَغْفِرُ وَيُعَذِّبُ﴾.

---

(1) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج130/5).
(2) انظر: مكي بن ابي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية(ج6947/11).
(3) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط(ج271/13).
(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج164/26).
(5) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل(ج337/3).

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- إن العدو إذا لم يقدر أن يكيد بيده يتمنّى ما تتقاصر عنه مكنته، وتلك صفة كلّ عاجز، ونعت كلّ لئيم.

2- الكيد على المسلمين والمكر لأهل الإسلام لا يعود على صاحبه إلا بالخسران، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:43][1] .

3- العقول الواهية والنفوس الهاوية، لا تأخذ من الصور التي تتصور بها الحوادث إلا الصورة التي تلوح لها في بادئ الرأي، ثم يعتريها التزين في العقل، فلا تفترض غيرها[2] .

4- الظن الذي ظنه المنافقون هو عدم نصرة الرسول ﷺ، وعدم رجوعهم من سفرهم هذا [3] قال قتادة: ظنوا بنبي الله، وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك، وأنهم سيهلكون، فذلك الذي خلفهم[4] .

5- قال أهل التأويل الذي حملهم على الظن أن النبي ﷺ والمؤمنين لا يرجعون إلى أهليهم أنهم خرجوا للحج لا للقتال وغير مستعدين للقتال، وقال أهل مكة عندما علموا لا ندعهم يدخلون مكة بل نقاتلهم ونحاربهم ولا نتركهم يدخلونها[5] .

6- ذم الله تعالى المتخلفين وفضحهم وتوعدهم بسوء المصير، لأسباب متعددة، منها: سوء ظنهم بالله وبرسوله، واعذارهم الكاذبة، وتقولهم بالكلام الذي لا تؤيده قلوبهم[6] .

7- قدمت المغفرة عن العذاب في قوله تعالى:﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ ليكون عامل لتحريكهم إلى التوبة، واستدراك ما فاتهم من الأجر[7] .

---

(1) انظر: القشيري، لطائف الإشارات(ج424/3).
(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج164/26).
(3) انظر: القاسمي، محاسن التأويل(ج494/8).
(4) انظر: الواحدي، الوسيط(ج137/4).
(5) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة(ج301/9).
(6) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط(ج270/13).
(7) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج166/26).

المبحث الخامس

مقاصد وأهداف سورة الفتح من الآية(15_17)

المطلب الأول: وعد الله رسوله والمؤمنين بغنائم خيبر

قـــال تعـــالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ هم الذين تخلفوا عن الحديبية وهم أعراب أسلم، وجهينة، ومزينة، وغفار ظنوا أن لن ينصر الرسول، ولن يرجع هو والمؤمنون، فتخلفوا[1] .

2- ﴿مَغَانِمَ﴾ المغانم جمع مغنم، والغنيمة: ما يؤخذ في الحرب قهرًا أو عَنْوةً، والحمد مغنم والمذلّة مغرم[2] .

3- ﴿ذَرُونَا﴾ يذره يدعه، وأصله وذره يذره كوسعه يسعه، وقولهم ذرني وفلان أي كله إلي ولا تشغل قلبك به[3] .

4- ﴿تَحْسُدُونَنَا﴾ الحَسَد: أن تتمنَّى زوال نعمة المحسود إليكَ، يقال: حَسَدَه يَحْسُدُهُ حُسوداً[4] ومقصدهم بالحسد هنا أن يشتركوا مع المسلمين في المغانم[5] .

ثانياً: القراءات

قال تعالى: ﴿يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف، كَلِمَ بكسر اللم من غير ألف، وقرأ الباقون بفتح اللام وألف بعدها[6] .

---

(1) الفراء، معاني القرآن (ج65/3).
(2) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة(ج1646/2).
(3) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج588/7).
(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج465/2).
(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج338/7).
(6) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر(ج375/2).

ثالثاً: المناسبة

ولما ذكر سبحانه وتعالى أهل بيعة الرضوان، وأضافهم إلى حضرة الرحمن، تشوف السامع إلى الخبر عمن غاب عن ذلك الجناب، وأبطأ عن حضرة تلك العمرة، فاستؤنف الإخبار عما ينافقون به بقوله تعالى: ﴿**سيقول**﴾ أي بوعد لا خلف فيه، وأكد أمر نفاقهم تنبيهاً على جلدهم فيه و وقاصهم به ولطف النبي ﷺ وشدة رحمته ورفقه وشفقته[1] .

رابعاً: المعنى الإجمالي

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية المنافقين من الحضر والبادية، وذلك بالحديث عنهم وكشف عوارهم ودعوتهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق عند ظهور انحرافهم وسوء أحوالهم، فقال تعالى لرسوله ﷺ (سيقول المخلفون) الذين تقدم الحديث عنهم وأنهم تخلفوا عنه (إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم)، وذلك أن الله تعالى بعد صلح الحديبية وما نال أهلها من آلام نفسية أكرمهم بنعم كثيرة، منها أنه واعدهم بغنائم خيبر بأن يتم لهم فتحها ويغنمهم أموالها وكانت أموالا عظيمة، فلما عادوا إلى المدينة وأعلن الرسول ﷺ عن الخروج إلى خيبر جاء هؤلاء المخلفون يطالبون بالسير معهم لأجل الغنيمة لا غير، قال تعالى وهو وعده لأهل الحديبية بأن يغنمهم غنائم خيبر، ولذا أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم (لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل)، أي فقد أخبرنا تعالى بحالكم ومقالكم هذا قبل أن تقولوه وتكونوا عليه، هذا من جملة ما أخبر تعالى به رسوله والمؤمنين قبل قولهم له وقد قالوه، أي ما منعتمونا من الخروج إلى خيبر إلا حسداً لنا أن ننال من الغنائم، أي لم يكن الله أمركم بمنعنا ولكن الحسد هو الذي أمركم، وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) أي وصمهم بوصمة الجهل وجعلها هي علة تخبطهم وحيرتهم وضلالهم، أنهم قليلو الفهم والإدراك فليسوا على مستوى الرجل الحاذق الماهر البصير الذي يحسن القول والعمل[2] .

---

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج307/18).

(2) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج102/5).

خامساً: البلاغة

1- المراد بالمغانم في قوله تعالى:﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ الخروج إلى غزوة خيبر، فأطلق عليها اسم المغانم مجازاً لعلاقة الأول، مثل إطلاق الخمر في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يُوسُف: 36] وهو دليل أنهم منصورون في غزوتهم[1] .

2- قوله تعالى:﴿لِتَأۡخُذُوهَا﴾ ترشيح للمجاز، وهو إيماء أن المغانم حاصلة لهم لا محالة [2] .

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

1- المخلفون من الأعراب قال مجاهد وغيره: هم جهينة، ومزينة، ومن كان حول المدينة من القبائل، فإنهم في خروج رسول الله ﷺ إلى عمرته عام الحديبية رأوا أنه يستقبل عدواً عظيماً من قريش، وثقيف، وكنانة، والقبائل المجاورة لمكة، وهم الأحابيش[3] .

2- وعد الله رسوله ﷺ والمؤمنين بغنائم خيبر وهم في طريقهم من الحديبية إلى المدينة، وإنجازه لهم دال على وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته، وكلها موجبة للإيمان والتوحيد وحب الله والرغبة إليه والرهبة منه[4] .

3- ذم الله تعالى الجهل وقبحه فإنه بئس الوصف يوصف به المرء، ولذا لا يرضاه حتى الجاهل لنفسه فلو قلت لجاهل يا جاهل لا تفعل كذا أو لا تقل كذا لغضب عليك.

4- طلب المخلفين المسير مع المسلمين إلى خيبر هذا يشير إلى إنهم قوم أغبياء جهلة كذبة، فكيف اعتذروا سابقاً بالانشغال بالأموال والأهل، والآن يطلبون المشاركة في السير إلى خيبر[5] .

5- معنى قوله تعالى:﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: يريدون أن يخرجوا معك في غزوك وقد قال الله تعالى:﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ [التوبة: 83]

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج167/26).
(2) المرجع السابق، ص167.
(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز(ج130/5).
(4) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج103/5).
(5) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج177/26).

[1]وأنكر هذا القول الطبري؛ لأن غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة، قال: والصواب الذي قاله قتادة ومجاهد: أنهم يريدون أن يغيروا وعد الله الذي خص به أهل الحديبية، وذلك: مغانم خيبر وغيرها.

6- قال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ تدل هذه الآية أن المنافقين كانوا يقيسون أصحاب رسول اللَّه ﷺ بأنفسهم؛ لأنهم إذا أصابوا شيئًا كانوا يحسدون أصحاب رسول اللَّه ﷺ [2] .

المطلب الثاني: الهدف من الغزو نشر الدعوة أو دفع الجزية

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾[الفتح].

أولاً: معاني المفردات

1- ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ معنى ستدعون أي ستأمرون بقتالهم، وقد اختلف أهل التأويل في هؤلاء الذين أخبر الله ﷻ عنهم أن هؤلاء المخلفين من الأعراب يُدعون إلى قتالهم[3] .

2- ﴿بَأْسٍ﴾ البَأْسُ: العذابُ، والبَأْسُ: الشدَّة في الحرب، تقول منه: بؤس الرجل بالضم يَبْؤُسُ بَأْساً، إذا كان شديد البأس[4] .

3- ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ تولاه اتبعه ورضي به، وتولى عنه: أعرض، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيرَكُم**﴾ أي تعرضوا عن الإسلام[5] .

ثانياً: المناسبة

بعد أن بينت الآيات السابقة ما فات المخلفين الذين تخلفوا يوم الحديبية ما فاتهم من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، جاءت هذه الآيات إلى طمأنتهم بأنهم سينالون مغانم في

---

(1) انظر: مكي بن ابي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية(ج6950/11).
(2) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة(ج304/9).
(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن(ج219/22).
(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج906/3).
(5) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(ج256/40).

غزوات آتية، ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم، ولكنه لحكمة نوط المسببات بأسبابها، على طريقة حكمة الشريعة فهو حرمان خاص بوقعة معينة، كما تقدم آنفا، وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين[1] .

ثالثاً: المعنى الإجمالي

قال تعالى للرسول ﷺ قل للمخلفين الذين أصبح وصف التخلف شعاراً لهم يعرفون به، وفي ذلك من الذم واللوم والعتاب ما فيه، قل لهم مختبراً إياهم ستدعون في يوم من الأيام إلى قتال قوم أولي بأس شديد في الحروب تقاتلونهم، أو يسلمون فلا تقاتلوهم وذلك بأن يرضوا بدفع الجزية وهؤلاء لا يكونون إلا نصارى أو مجوساً فهم إما فارس وإما الروم، وقد اختلف في تحديدهم فإن تطيعوا الأمر لكم بالخروج الداعي للجهاد فتخرجوا وتجاهدوا يؤتكم الله أجراً حسناً، غنائم في الدنيا وحسن الصيت والأحدوثة والجنة فوق ذلك، وإن تتولوا أي تعرضوا عن طاعة من يدعوكم ولا تخرجوا معه كما توليتم من قبل، حيث لم تخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى مكة للعمرة خوفاً من قريش ورجاء أن يهلك الرسول ﷺ والمؤمنون ويخلو لكم الجو، يعذبكم عذاباً أليماً أي في الدنيا بأن يسلط عليكم من يعذبكم وفي الآخرة بعذاب النار[2] .

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم وإشعاراً بشناعة التخلف[3] .

2- أمر الله نبيه ﷺ بالتقدمة إلى هؤلاء المخلفين بأنهم سيؤمرون بقتال عدو بئيس، وهذا يدل على أنهم كانوا يظهرون الإسلام، وإلا فلم يكونوا أهلا لهذا الأمر[4] .

3- قال تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ هذا حكم من لا تؤخذ منهم الجزية، وهو أحد الأمرين إما المقاتلة وإما الإسلام، لا ثالث لهما[5] .

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج170/26).

(2) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير(ج104/5).

(3) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل(ج129/5).

(4) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج132/5).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج273/16).

4- أخبر تعالى زيادة في تكذيبهم وافتضاح أمرهم أن ميدان القتال مفتوح، فإن كانوا مسلمين صادقين فليجربوا أنفسهم في ملاقاة أقوام ذوي بأس شديد، ومراس ونجدة[1] .

5- وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال فى القوم أولى البأس الشديد قال: فارس، والروم، وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: أهل الْأَوْثَان[2] ، وقال الطبري يحتمل أن يكونوا من هذه الأسماء ويحتمل كما قال أبو هريرة ﷺ أنهم لم يأتوا بعد والله أعلم[3] .

6- فتح اللَّه تعالى باب الأمل أمامهم، وأفادهم بأنهم إن أطاعوا أمر اللَّه تعالى ورسوله ﷺ وجاهدوا بحق يعطهم الغنيمة والنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، وإن أعرضوا في المستقبل عن الجهاد كما أعرضوا في الماضي عام الحديبية، يعذبهم بعذاب مؤلم موجع وهو عذاب النار.

7- جاء في التفاسير أنهم أهل اليمامة أصحاب مسيلمة، وقد دعاهم أبوبكر وحاربهم، فالآية تدل على إمامته، وقيل هم أهل فارس وقد دعاهم عمر بن الخطاب وحاربهم، فالآية تدل على صحة إمامته، وصحة إمامته تدل على صحة إمامة أبى بكر[4] .

8- ترشد الآيات إلى أنه يجوز أن تكون للعبد بداية غير مرضية ثم يتغير بعدها إلى الصلاح[5] .

9- كرر وصف الأعراب هنا ليظهر أن هذا الخطاب قصد به الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ فلا يتوهم السامعون أن المعنى بالمخلفين كل من يقع منهم التخلف[6] .

10- القوم أولو البأس الشديد، يتعين أنهم قوم من العرب، لأن قوله تعالى ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ يشعر بأن القتال لا يرفع عنهم إلا إذا أسلموا، وإنما يكون هذا حكماً في قتال مشركي العرب، إذ لا تقبل منهم الجزية[7] .

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(ج178/26).
(2) انظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور(ج520/7).
(3) انظر: الطبري، جامع البيان(ج221/22).
(4) انظر: القشيري، لطائف الإشارات(ج425/3).
(5) المرجع السابق، ص425.
(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج171/26).
(7) المرجع السابق، ص 171.

المطلب الثالث: دفع الإثم والحرج في التخلف عن الجهاد لعذر العمى أو العرج أو المرض

قال تعالى:﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾[الفتح].

أولاً: أسباب النزول

أخرج الطبراني بسند حسن عن زيد بن ثابت ﷺ قَالَ: كنت أكتب لرسول الله ﷺ وإني لواضع القلم على أذني إذ أمر بالقتال، إذ جاء أعمى فقال: كيف بي وأنا ذاهب البصر فنزلت ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ قال: هذا في الجهاد ليس عليهم من جهاد إذا لم يطيقوا[1] .

ثانياً: معاني المفردات

1- ﴿حَرَجٌ﴾ الحرج: الضيق، ومكان حرج، وحريج: ضيق، ومن ذلك أخذ الحرج في الدين، والحرج: سرير الميت الذي يحمل عليه[2] .

2- ﴿يَتَوَلَّ﴾ التولي يكون بمعنى الإعراض، ويأتي في مواضع بمعنى الاتباع، قال الله تعالى:﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ﴾ [مُحَمَّد: 38] أَي: تعرضوا عن الإسلام[3] .

ثالثاً: القراءات

﴿يُدْخِلْهُ﴾ ﴿يُعَذِّبْهُ﴾ قرأ نافع وابن عامر (ندخله) و (نعذبه) بالنون إخبار الله ﷻ عن نفسه، وقرأ الباقون بالياء، فيهما المعنى يدخله الله ويعذبه وحجتهم قوله ومن يطع الله ورسوله فقد تقدم الاسم الظاهر[4] .

رابعاً: المناسبة

بعد بيان حال المنافقين، بين اللَّه تعالى حال المتخلفين، وهم قوم من الأعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول اللَّه ﷺ ، لظنهم أنه يهزم، وقد ذكر تعالى أحوالاً ثلاثاً لهم: هي الاعتذار

---

(1) [الطبراني: المعجم الكبير155/5: رقم الحديث4926].

(2) الأزدي، جمهرة اللغة(ج436/1).

(3) الهروي، تهذيب اللغة(ج325/15).

(4) ابن زنجله، حجة القراءات(ص674).

عن التخلف عن الحديبية بانشغالهم في الأموال والأهل، وطلب المشاركة في وقعة خيبر وغنائمها، ودعوتهم إلى قتال قوم أولي بأس شديد، ثم استثنى تعالى أصحاب الأعذار لترك الجهاد[1] .

خامساً: المعنى الإجمالي

تخبر الآيات عن أحكام أصحاب الأعذار وخصوصاً في حالات القتال فقال الله تعالى ليس على هؤلاء إثم في التخلف عن الجهاد، لما بهم من الأعذار والعاهات المرخصة لهم في التخلف عنه، ومن يطع الله ورسوله ﷺ فيما أمرا به أو نهيا عنه يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن يتول عن طاعتهما يعذبه الله تعالى عذاباً أليماً لا يقادر قدره[2] .

سادساً: البلاغة

1- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ إطناب بتكرار نفي الحرج والإثم عن أصحاب الأعذار للتأكيد[3] .

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

1- بينت الآيات حكم أهل الأعذار من العرج والعمى والمرض في الجهاد، إلا أن يحزب حازب في حضرة ما، فالفرض متوجه بحسب الوسع، ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو وأجرهم فيه مضاعف، لأن الأعرج أحرى الناس بالصبر وأن لا يفر، وقد غزا ابن أم مكتوم، وكان يمسك الراية في بعض حروب القادسية[4] .

2- دفع الإثم والحرج في التخلف عن الجهاد لعذر العمى أو العرج أو المرض[5] .

3- بيان وعد الله ووعيده لمن أطاعه ولمن عصاه، الوعد بالجنة، والوعيد بالنار.

4- ابتدئة الآيات بذكر الأعمي فهو من أصحاب الأعذار التي أعطاها الإسلام الأولوية.

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج26/169).

(2) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط(ج13/274).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج26/166).

(4) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج5/133).

(5) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/105).

الخاتمة:

الحمد لله الذي أكرمني بفضله ومنه، أن أنتهيت من إكمال هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وقد خلصت دراستي لمقاصد وأهداف هذه الآيات إلى نتائج وتوصيات وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

1- علم مقاصد وأهداف السور القرآنية من العلوم العظيمة، التي تحتاج إلى الكثير من التعمق والتفكير، فإنها تزيد في النفس الإيمان، وتغرس في القلب الاطمئنان، بما يظهر من حكم وأسرار، تمثل روح القرآن وسر نزوله.

2- توصلت في دراستي هذه إلى الكثير من اللطائف البيانية، والمفردات النحوية، والجوانب البلاغية، التي تكشف عن الإعجاز البلاغي والعلمي في القرآن، وروعة نظمه، إحكام آياته وبيانه.

3- واقع الأمة الإسلامية عامة يجعل من دراسة مقاصد وأهداف السور القرآنية فريضة شرعية على الباحثين، حتى يظهروا للأمة المنهج القرآني الصحيح.

4- أمرت سورة الأحقاف الرسول ﷺ أن يقول وأن يذكّر وأن يصبر، فقوله فيه الحجة العقلية، وتذكيره فيه الإثارة العاطفية، وصبره لازم من لوازم دعوته ورسالته .

5- عرضت سورة الأحقاف عقيدة البعث والقيامة، وتقريره أنه لو لم توجد القيامة لتعطل إستيفاء حقوق المظلومين من الظالمين، ولتعطل توفية الثواب على المطيعين، وتوفية العقاب على الكافرين.

6- تعالج سورة الأحقاف موضع الفسق فعرضت أسبابه ووضعت الحلول فقد تكررت كلمة الفسق في كثير من آياتها.

7- وجوب البر بالوالدين بطاعتهما في المعروف والإحسان بهما بعد كف الأذى عنهما.

8- فضل الاستقامة حتى قيل أنها خير من ألف كرامة، والاستقامة هي التمسك بالإيمان والعبادة كما جاء بذلك القرآن وبينت السنة.

9- طريق الدعوة الإسلامية طريق مرير، حتى أنه لتحتاج نفس كنفس النبي ﷺ في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها، وفي صفائها وشفافيتها، إلى التوجيه الرباني بالصبر.

10- اعتنى الإسلام بالأسرة وجعلها هي اللبنة الأولى في بنائه، والمحضن الذي تدرج فيه الفراخ الخضر وتكبر وتتلقى رصيدها من الحب والتعاون والتكافل والبناء، والطفل الذي يحرم من محضن الأسرة ينشأ شاذا غير طبيعي في كثير من جوانب حياته.

11- فرض الله تعالى الجهاد للامتحان والاختبار، ليعرف الصادق الصابر، والمضحي المجاهد في سبيل اللَّه، من المنافق الخائن لله ورسوله.

12- كشفت سورة محمد عن أحوال المنافقين وأوصافهم بصورة تميزهم عن المؤمنين وتدعو كل عاقل إلى احتقارهم ونبذهم بسبب خداعهم وكذبهم، وجبنهم واستهزائهم بتعاليم الإسلام.

13- جعل الله تعالى قطع الأرحام وعدم زيارتها وعدم مودتها نوعاً من أنواع الفساد في الأرض.

14- وعد الله المؤمنين بالنصر متى نصروه، وتوعد الكافرين بالتعاسة والخيبة، ووبخهم على عدم اعتبارهم واتعاظهم، كما بشر المؤمنين أيضا بجنة فيها ما فيها من نعيم.

15- يبين الله تعالى الحكمة في ضرب الأمثال وهي هداية الناس إلى ما يُفلحون به، فينجون من النار ويدخلون الجنة.

16- بينت سورة الفتح خصائص الجماعة الإسلامية في تعاطفها مع بعضها وفي شدتها على الكافرين، وفي إقبالها على الله بالعبادة، وإخلاصها له في النية.

17- غالباً ما يطلق الفتح على النصر ولكن الفتح أعظم من النصر، فالنصر لا يتعدى ساحات المعارك وجبهات القتال، ولكن الفتح يكون للعقول والقلوب والعباد والبلاد.

18- السكينة والاطمئنان في مواضع القتال هي جند من جنود الله تعالى يرسلها على عباده الصادقين ليشرح بها الصدور ويثبت بها القلوب.

19- المنافقون أشد خطراً على المؤمنين، لأن الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لأنه عدو مبين، والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر.

20–العقول الواهية والنفوس الهاوية، لا تأخذ من الصور التي تتصور بها الحوادث إلا الصورة التي تلوح لها في بادئ الرأي، ثم يعتريها التزين في العقل، فلا تفترض غيرها.

ثانياً: التوصيات

1- أوصي نفسي وجميع المسلمين بتقوي الله تعالى ولزوم طاعته، فهي سبيل كل علم، وخارطة الطريق المستقيم، وبها صلاح وفلاح المؤمنين.

2- أوصي الدعاة بالعناية بالقرآن عامة، ومقاصد وأهداف السور خاصة، فإنها توسع المدارك والمفاهيم، وتهدي العصاة والمذنبين، وتقوي عزائم المؤمنين، وتغرس الثقة بهذا الدين.

3–على القائمين على الدراسات والأبحاث، والعلوم الشرعية خاصة، أن يجعلوا من نتائج الأبحاث قاعدة للتطبيق، حتى يكون العلم مقترناً بالعمل.

4- إيصال الدلالات والعبر والمفاهيم للناس، بما يتناسب مع وسطية هذا الدين، الذي يراعي حال المدعو ويكون أدعى إلى اعتناق الإسلام، والتمسك بأحكامه وشرائعه.

في نهاية هذه التوصيات، أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في استنباط مقاصد وأهداف ودلالات الآيات التي كانت مكان بحثي، فقد بذلت كل ما في وسعي ليخرج هذا البحث بهذه الصورة، فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي.(2001 م). *سنن أبي داود*، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. مؤسسة الرسالة.

أرشيف ملتقى أهل التفسير(رابط الموقع: http://tafsir.net).

الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد.(1987م). *جمهرة اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن مهران.(1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. مصر: السعادة.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان.(1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي.(1422هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي.(1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر الشافعي.(1987م). *مصاعد النظر الإشراف على مقاصد السور*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي.(1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين.(1410هـ). *شعب الإيمان*. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.ط1 . بيروت: دار الكتب العلمية.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك.(1975 م). *سنن الترمذي* . تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاك. ط2. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر.(2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. *النشر في القراءات العشر*. تحقيق: علي محمد الضباع. دار الكتاب العلمية.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف.(1351هـ).غاية النهاية في طبقات القراء. مكتبة ابن تيمية.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف.(2000م) تحبير التيسير في القراءات. تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة. ط1. الأردن: دار الفرقان.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي.(1994م). أحكام القرآن. المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي.(1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

حجازي، محمد محمود.(1413هـ). التفسير الواضح. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.

الحميري، نشوان بن سعيد اليمني.(1999 م). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.

الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي. الكليات. المحقق: عدنان درويش، وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد.(1993). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان.ط2.

بيروت: مؤسسة الرسالة.

حوّى، سعيد حوى.(1424هـ).الأساس في التفسير. ط6. القاهرة: دار السلام.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي.(1983). جمهرة أنساب العرب.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر.(1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. المحقق: تصحيح محمد علي شاهين.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطيب، عبد الكريم يونس. التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر.(1994م). البيان في عدّ آي القرآن. المحقق: غانم قدوري الحمد.ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني.(1998م). إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز.(1985 م). سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون.ط3. مؤسسة الرسالة.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي.(1420هـ). مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي.(1999م) . مختار الصحاح. المحقق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية.

الرازي،: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني.(1979م). معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.

الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد.(1999م). تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني. ط1. مصر: كلية الآداب جامعة طنطا.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل.(1988م). معاني القرآن وإعرابه. المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتب.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1418هـ). تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس.(2002م).الأعلام. ط15 . دار العلم للملايين.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله.(1407هـ). الكشاف. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة.(1982م). حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن.(1987 م). فنون الأفنان في عيون علوم القرآن. ط1. بيروت: دار البشائر

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله.(2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.ط1. مؤسسة الرسالة.

السمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط. دمشق: دار القلم.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي.(1412هـ). في ظلال القرآن. ط17. القاهرة: دار الشروق.

السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين. ط1. القاهرة: دار الحديث.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. بيروت: دار الفكر.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.(1974م). الإتقان في علوم القرآن. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد. (1997م). الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. دار ابن عفان.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني.(1995م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

الشوكاني، محمد بن علي.(1414هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دمشق بيروت: دار الكلم الطيب

الصابوني، محمد علي.(1997م). صفوة التفاسير. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبراني، سليمان بن أحمد.(1983م). المعجم. المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.ط2. دار إحياء التراث العربي.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن عاشور، محمد الطاهر.(1984هـ) . التحرير والتنوير. الدار التونسية.

ابن عاشور، محمد الطاهر.(2004م). مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

العالم، يوسف حامد.(1994م). المقاصد العامة للشريعة الإسلامية. ط2. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.(2001م). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، وآخرون.(2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. عالم الكتب.

ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي.(1986م) مجمل اللغة. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون. ط1. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد. العين، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، الناشر : دار ومكتبة الهلال

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب.(2005 م). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق.(1418هـ). محاسن التأويل. المحقق محمد باسل عيون السود .ط1. بيروت: دار الكتب العلميه.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة . بيروت: دار الكتاب العربي.

القرآني، غازى عناية.(1991 م). أسباب النزول. ط1 . بيروت: دار الجيل

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. الرياض: دار عالم الكتب.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. لطائف الإشارات. المحقق: إبراهيم البسيوني.ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، مناع بن خليل.(2000م). مباحث في علوم القرآن. ط3. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .

القِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي.(1992م). فتحُ البيان في مقاصد القرآن. تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري.(1999م). تفسير القرآن العظيم. المحقق: سامي بن محمد سلامة.ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.(1976م). السيرة النبوية من البداية والنهاية. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. بيروت: دار المعرفة.

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني. (1994م). معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. (2005م). تأويلات أهل السنة. المحقق: مجدي باسلوم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

مدكور، على أحمد. (2001م). مناهج التربية أساسها وتطبيقاتها. دار الفكر العربي.

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي. (1946م). تفسير المراغي .ط1.مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي.

مصطفى، إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط. تحقيق: مجمع اللغة العربية دار الدعوة.

معبد، محمد أحمد محمد معبد. (2005 م). نفحات من علوم القرآن. ط2. القاهرة: دار السلام

مكي بن أبي طالب، حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني. (2008م). الهداية إلى بلوغ النهاية. المحقق: الشاهد البوشيخي.ط1. جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأنصاري.(1995م).لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. معاني القرآن. المحقق: محمد علي الصابوني.ط1 . مكة المكرمة: جامعة أم القرى 1409هـ.

النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي. (2000م). إعراب القرآن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
1-	﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	98	37
2-	﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	143	122
3-	﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	271	115
4-	﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	282	15
	آل عمران		
5-	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾	144	69
6-	﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾	144	130
7-	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	159	67
8-	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ﴾	159	16
	النساء		
9-	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾	41	122
10-	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾	48	102
11-	﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	80	125
	الأنعام		
12-	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ﴾	158	90
	الأعراف		
13-	﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	204	34
14-	﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾	157	122
	الأنفال		
	﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾	2	114
	التوبة		
15-	﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾	83	135
16-	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾	111	126
	هود		
17-	﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	7	80
18-	﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾	38	125

	يوسف		
19-	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	2	33
20-	﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾	36	135
21-	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾	109	63
	إبراهيم		
22-	﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾	44	43
	النحل		
23-	﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾	9	19
24-	﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾	9	19
25-	﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُ﴾	16	34
	الإسراء		
26-	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾	23	49
	الكهف		
27-	﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾	2	44
	الفرقان		
28-	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	20	63
	النمل		
29-	﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾	40	ح
	العنكبوت		
	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	2	99
	لقمان		
30-	﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾	14	49
31-	﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾	19	19
	الأحزاب		
32-	﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾	40	69
	فاطر		
33-	﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾	43	132
	ص		
34-	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	29	ب

الجاثية			
35-	﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	24	16
الأحقاف			
36-	﴿حمٓ﴾	1	34
37-	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾	3	58
38-	﴿قُلْ أَرَءَيْتُم إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾	10	28
39-	﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾	18-15	29
40-	﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾	17	51
41-	﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾	21	28
42-	﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾	24	59
43-	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	35	29
محمد			
44-	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾	13	70
45-	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾	14	86
46-	﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾	38	139
الفتح			
47-	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	1	107
48-	﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	5	115
49-	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾	29	70
50-	﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	2	42
الحجرات			
51-	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	1	108
القمر			
52-	﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾	38	120
الممتحنة			
53-	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾	12	125
الصف			
54-	﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾	13	113
الملك			
55-	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	1	130

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	راوي الحديث	درجة الحديث	الصفحة
1-	أقرأني رسول الله سورةً من الثلاثين من آل حمِ	أحمد	إسناده صحيح	28
2-	أن المشركين قالوا: ربنا الله والملائكة بناته	الواحدي		43
3-	إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله،	البخاري	صحيح	87
4-	انطلق النبي وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود	الطبراني		35
5-	بلغ ذلك عائشة (حديث مروان) فقالت: كذبٌ والله	النسائي		52
6-	تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً	البخاري	صحيح	105
7-	خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم	البخاري	صحيح	93
8-	الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر	مسلم	صحيح	84
9-	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ قَالَ: هم أهل مكة	الحاكم	صحيح الإسناد	75
10-	سورة التوبة، قال: بل هي الفاضحة	مسلم	صحيح	24
11-	فَقَالَ النَّبِيُّ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً	الترمذي	حسن صحيح	71
12-	في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل	الترمذي	صحيح	87
13-	قال هو فتح خيبر	الحاكم	صحيح الإسناد	105
14-	قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا	البخاري	صحيح	115
15-	قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة	البخاري	صحيح	125
16-	قرأ النبي يوم فتح مكة، سورة الفتح فرجع فيها	البخاري	صحيح	105
17-	قل امنت بالله ثم استقم	أحمد	إسناده صحيح	30
18-	قل امنت بالله ثم استقم	مسلم	صحيح	33
19-	كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب	البخاري	صحيح	52
20-	كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه	البخاري	صحيح	107
21-	كان يقرأ بهم في صلاة المغرب	ابن حبان	صحيح	71
22-	كنت أكتب لرسول الله ووإني لواضع القلم على أذني	الطبراني	حسن	139
23-	لا تجعلوا بيوتكم مقابر	مسلم	صحيح	24
24-	لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله	الواحدي		39
25-	ما رأيت رسول الله مستجمعاً ضاحكاً	مسلم	صحيح	59
26-	ما سمعت رسول الله يقول لأحد يمشي على وجه الأرض	البخاري	صحيح	30
27-	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	الترمذي	صحيح	ح
28-	المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء	البخاري	صحيح	84
29-	هل صحبَ رسولَ الله ﷺ ليلةَ الجنّ منكم أحدٌ	أحمد	صحيح الإسناد	62

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	الصفحة
1-	مجاهد بن جبر	17
2-	أبو حيان الأندلسي	17
3-	البقاعي	18
4-	أحمد الريسوني	20
5-	سعيد حوى	22
6-	الشاطبي	22
7-	ابن عطية	25
8-	الزمخشري	25
9-	الفيروز آبادي	26
10-	محمد بن عاشور	20
11-	أحمد المراغي	26
12-	ابن مردويه	29
13-	الواحدي	39
14-	مقاتل بن سليمان	70
15-	قتادة	70
16-	الضحاك	71
17-	السُّدِّي	71
18-	الماوردي	73
19-	ابن العربي	73
20-	الرازيّ	84
21-	سفيان الثوري	87
22-	رابعة العدوية	87
23-	ابن جريج	88
24-	الجوهري	97
25-	أبو العالية	100